18me année No880

LeCaire -15 —6— 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٨٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٦٩ — ١٥ مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

أنا وابن الغـــرب

للاستاذ راجى الراعى

أنا الشرق أراك تختال على يا ابن الغرب فبماذا تختال ، بماذا ؟
أبينابيمك فى التاريخ وقد ولد آدم فى أرضنا ؟
أبشرائعك وحمورابى من أجدادى . ؟
أبدخان معاملك وهذا دخان أحلامى ؟
أبايمانك ونحن مهد الأديان ؟
أبجبالك وهذا لبنان ؟
أبصدرك الرحب وعندى كل هذه الصحارى ؟
أبأنهارك ولى دجلة والفرات وبردى والنيل ؟
أبأ مجادك والمجد مجدنا القديم ؟
أبآثارك وهذه هيا كل جبيل وبعلبك وتدمر والأهرام ؟
أبشمسك وأنا الشرق ؟
أبشعرك وخيالك ونحن اخوان النجوم وأخوال القمر ؟
أبمروجك وحدائقك وفى بلدنا أقام الله جنته الأولى ؟
بماذا تختال على أنا الشرق ، بماذا ؟
أبعدلك وساعة العدل عندنا خير من ألف شهر عبادة ؟
أبلغتك وأين هى من فخامة الضاد وجمال العين وجلال الطاء ؟
أبقمرك وأنت لا تراه وقد حجبه عنك البناء الشاهق الضخم ؟
أبهيا كلك وهيا كلى لا تعد ولا تحصى ؟
أبدهائك ونحن الدهاء كله ؟
أبأبراجك وهذا برج بابل ؟
أبأشجارك وأنا صاحب الأرز ، أرز الرب ، والنخيل ؟
أبأهوالك وتهاويلك وهذا (أبوالهول) ؟
أبحكمتك وفلسفتك وعندى كونفوشيوس وبوذا وبراهما وكريشنا وهرمس ؟
أبفنونك وفى سمائنا ما لا تجده فى متاحفك ؟
أبخيراتك وخزائنك وأنا صاحب الآبار ، آبار النفط فى الحجاز ؛ ومالك الذهب ، ذهب الأقبية فى الهند وقد ضاقت به الخزائن .
أبالاختلاق وفى معجمى كلمة هى (المروءة) لا أجد مايقابلها فى معجمك ويأتى بسرها ومعناها البعيد.
أبكهربائك والكهرباء قديمة لم تخترع سرها الذى كان وما يزال فى العيون وفى الأدمغة والقلوب ؟
أبكؤوسك وخمورك والخمرة المعتقة لا تجدها إلا فى هذه الديار والأديار .
أبعبقريتك وعبقر الموضع الكثير الجن الذى ينسب إليه العبقرى يقع تحت هذه السماء ؟
أبميراثك ونحن لم تبق أمة فى الأرض ما ورثناها ؟

الرافعي اللغـــوي

للاستاذ محمود أبو ريه

من المصادفات الطيبة أن تنشر هذه الكلمة في وقت الذكرى الثالثة عشرة لوفاة شيخنا الرافعي رحمه الله ، ولا يسعنا بهذه المناسبة الكريمة إلا أن نبعث إلى روحه الطاهرة في فردوسها عند بارئها بأطيب التحية سائلين الله سبحانه أن يسبغ عليها من رحمته ورضوانه أنه سميع مجيب

نشرت مجلة الرسالة الغراء كلمة للأستاذ محمود محمد بكر هلال بعنوان (تطور اللغة العربية) نقل فيها كلاماً لشيخنا الرافعي رحمه الله يشير فيه إلى مذهبه في الاجتهاد اللغوي ، وقد رأينا أن نعزز هذا الكلام بأقوال أخرى لهذا الحجة الكبير تزيد مذهبه وضوحاً .

كان الرافعي رحمه الله اماما في اللغة كما كان اماماً في الأدب، وقد وصل بهذه الامامة إلى درجة الاجتهاد في اللغة لا يقلد أحدا ولا يتابع انساناً .

قرأت له في أحد كتبه أنه نسب إلى (الاخلاق) فكتبت إليه أن النسبة — كما تقضي قواعد النحو — إنما تكون للمفرد

أبرباحينك وهذا عبير الشرق يضمخ السماء والأرض . ؟
أبعددك وأمامك الهند والسند والصين ؟
بماذا تختال علي أنا الشرق ، يا ابن الغرب ؟
لك نظرتك في الحياة ولي نظرتي ...
لك تاريخك ولي تاريخي .
لك صفحتك من الكتاب ولي صفحتي ...
أنت الغرب وأنا الشرق فليس لأحدنا أن يشمخ على الآخر ولا مجال بيننا للتيه والغطرسة .
إن الله لا يؤيد غير الحق، ولا يحب غير الوادعين المنصفين ...

راجي الراعي

لا إلى الجميع، فجاءه منه خطاب مؤرخ أول يونيه سنة ١٩٣٧ جاء فيه « ملاحظتك على النسبة إلى الاخلاق ليست في محلها ، فإن النسبة حقيقة المفرد ولكن في مثل هذه الكلمة يكون الأفصح أن ينسب إلى الجمع؛ لأن هذا الجمع أصبح كالحقيقة العرفية الدالة على مفرد؛ فالأخلاق علم معروف متميز بنفسه وبهذا صار كالحقيقة المفردة وكانت النسبة إليه أدل على المعنى المقصود ، وتأتي الكلمة أبلغ ، وتنزل من الأسلوب منزلة ترضى . والمدار عند العرب على الاستخفاف والاستثقال ، ولو حاولوا القياس لهذه العلة لتكون الكلمة أخف وأفصح لكان ذلك وجها صحيحا ، فكيف وهنا الحقيقة العرفية التي ذكرتها لك » (١)

واستعمل في كتاب أوراق الورد كلمة (أوحى لها) فكتبت إليه أن الأفصح كما جاء في القرآن الكريم أن فعل (أوحى) يتعدى (بالى) فجاء منه خطاب مؤرخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٢ (٢) قال فيه « أما — أوحى لها — فهي بنصها كلمة شاعر أوراق الورد في مقالة له ، فربما كان سبب وضعها هو تذكره (٣) وهي في موضعها أفصح من (إليها) كما يظهر لك من نطق الجملة من أولها مرة (بلها) ومرة (باليها) وأنا عادة أراعي موقع الحرف في الأسلوب فإن كانت (اللام) أقوى استعملتها، وقد أراعي اعتبارات أخـــرى »

ولما ترجم لشوقي بك رحمه الله في المقتطف انتقد هذا البيت من شعر شوقي :

إن رأتني تميل عني كأن لم تك بيني وبينها أشياء

وكان نقده أن شوقي رفع جواب الشرط وأن صواب (تميل) (تمل) فرد عليه الأستاذ العقاد وقال، ان كتب النحو قد أجازت ذلك . ولما اطلع الرافعي رحمة الله على هـذا الرد بعث إلى بخطاب مؤرخ ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٢ قال فيه (٤) :

« العقاد انتقد في المقتطف كلمة كنت خطأت فيها شوقي ،

---

(١) ص ١٣٦ من كتاب (رسائل الرافعي) الذي يطبع الآن
(٢) سيظهر هذان الخطابان ان شاء الله قريباً في كتاب (رسائل الرافعي) الذي يضم أكثر من مئتي رسالة لشيخنا الرافعي رحمه الله
٣) تذكرة لحبيبه . .

وهى : جواب الشرط حين يكون فعل الشرط ماضياً ، والنحاة جميعاً أجازوا هذا فانهزم المقاد ، ولكن النحاة فى رأيى مخطئون ، وقد كتبت رداً طويلا ... »

وقد جاء فى هذا الرد الذى نشر فى المقتطف [1] ما يلى :

« يشير الكاتب إلى القاعدة المذكورة فى كل كتب النحو من أن الجواب يرفع أو يجزم إذا كان الشرط ماضياً لفظاً أو معنى ، والجزم هو المختار عند قوم والرفع جائز ، وعند قوم العكس وعند آخرين يجب الرفع . ولم يقل أحد من النحويين إنهما « على السواء »

ولكن مع ورود هذه القاعدة فى كل كتب النحو لا يزال بيت شوقى عندنا غلطاً لأننا لسنا من « الذين يعرفون النحو » معرفة النقل فى الكتب والتقيد بالرأى خطأ وصواباً ، ولا هذا مذهبنا فى الأدب ولا فى اللغة ، ولا نقلد أحداً ولا نتابع أحدا بل لأن يمر ما فى الكتب من هذا الرأس بدياً فيجىء مجيئه الأول من ناحية أهله ، ثم مجيئه الثانى من ناحيتنا ، وسنعرض هنا كل أقوال النحاة فى رفع جواب الشرط على نسق من القضايا ونعترضها بالنقد

(١) لا يمكن أن يحمل رفع الشرط فى تلك الصورة قاعدة يقتاس بها إلا إذا سمع فى الكلام المنثور دون المنظوم ، إذ النظم محل الضرورة فى أشياء كثيرة معروفة ، أما النثر فهو على السعة ولا يجوز فيه إلا الجائز . فما هى الأمثلة التى نقلها النحاة عن العرب لتلك القاعدة ، وعن أى القبائل سمعت ؟ وهل هو السماع الذى يعضده القياس أم السماع الضعيف ؟

(٢) لم يزيدوا فى كتبهم على أن قالوا إن ذلك مسموع ولم يزد سيبويه فى كتابه على هذه العبارة « وفيه تقول (تأمل) إن أتيتنى آتيك أى آتيك ان أتيتنى قال زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالى ولا حرم

فأنت ترى أن سيبويه يضع مثالا ويأتى بالشاهد عليه من الشعر والشعر محل الضرائر يجوز فيه مالا يجوز فى الكلام ولا اضطرار فى بيت شوقى ، إذ يستطيع أن يقول : ان رأتنى تصدنى . فلا شاهد فى كلام سيبويه على رفع الجواب

(٣) إن أداة الشرط تجزم فعلين ، فاذا كان الجواب مرفوعاً قيل فى إعرابه أنه فعل مضارع مرفوع فى محل جزم ، فاذا لم تكن ثم ضرورة من الوزن فما الذى يمنع الجزم أن يظهر على الجواب فى كلام هو من لغة النهار والليل ، وما علة تقدير الجزم ولماذا يقدر فى مثل : إن زرتنى أكرمك وانت تستطيع أن تقول أكرمك ؟

(٤) من أجل هذه العلة يقول سيبويه ومن تبعه ان « أكرمك » فى مثل هذه الصورة ليست هى الجواب بل الكلام على نية التقديم أى الأصل « أكرمك إن زرتنى » فالجواب محذوف . وفى هذا الرأى (وهو أقوى الآراء وأسدها) لا يقال ان جواب الشرط مرفوع . ثم إن فرقاً فى البلاغة بين قولك أكرمك ان زرتنى وقولك ان زرتنى أكرمك فلماذا يقلب سيبويه احدى العبارتين إلى الأخرى على حين قائلها لم يرد إلا وجهاً بعينه . وما هى ضرورة التقديم ما دام الكلام على السعة ؟

ومن أجل هذه العلة أيضا يقول الكوفيون والمبرد من البصريين أن (أكرمك) ليست هى الجواب والكلمة على تقدير الفاء ؛ فالأصل إن زرتنى فأكرمك ؛ وبهذا يكون الجواب جملة اسمية . ولكن ما هى ضرورة حذف الفاء وتقديرها فى وقت معاً والكلام ليس موزونا يختل معه الوزن إن ذكرت الفاء ، وقائلها لو أرادها لذكرها لأن الجملة من الكلام المبتذل الذى لا يراد منه شاهد فى البلاغة ؟ وهم قاسوا ذلك على مثل قوله تعالى : ومن كفر فأمتعه قليلا . ومن عاد فينتقم الله منه . ومن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً . ولكنهم غفلوا عن سر هذه الفاء فقاسوا عليها ذلك أمثال المبتذل

(٦) ويقول بعض من ذهبوا إلى أن سبب رفع الجواب تقدير الفاء إن هذه الفاء تقوم فى إفادة الربط مقام الجواب ... فيصح رفعه وترك جزمه استغناء عنه بالفاء ... وهذا كما ترى من الخلط

(٧) قال قوم من النحاة أن الكلام ليس على نية التقديم ،

---

١) ص ٢٢٩ — ٢٣١ ج ٢٨

العقـــل . . .

للأستاذ محمد محمود زيتون

بقية ما نشر في العدد الماضي

امتاز القرن السادس عشر بنزعة التحليل ، ولعل « فرنسيس بيكون - كان خليق بأنها ، وهو في "القسم الثاني" من « الفاتح الجديد » Novum organum يصف ما يسميه « أصنام العقل » Idols of raison وهي أغاليط تنتاب العقل وتحول بينه وبين الصواب ويسميها بيكون : أصنام الكهف ، وأصنام السوق ، وأصنام القبيلة . وأصنام المسرح . ولكي يكون العقل منتجا لابد من هدم هذه الأصنام .

وجاءت فلسفة ديكارت ثمرة طيبة لثورة بيكون ، تأمل ديكارت في نفسه وفيما حوله ، فشك في كل شيء طائما مختارا حتى اهتدى إلى أول حقيقة هي « أنا أشك فأنا موجود » Cogito ergo sum . وعرف عن خاصية نفسه أنه « شيء يفكر » Res cogiteus .

ورأى أن الناس سواء في « العقل » Bon sens الذي هو أعدل الأشياء توزعا بين الناس ، ولكنهم متفاوتون في الوصول إلى الحقيقة لاختلاف مناهجهم ، فاختط لنفسه « منهجا لإحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم » ولئن لم يصرح ديكارت بأن منهجه إنما قصد به القضاء على المنطق المدرسي العقيم إلا أنه ينم عن هذه النزعة الثائرة ، واستفاد حقا من المنطق المدرسي ومنطق بيكون والتحليل الهندسي جميعا .

وعلى كل حال فإن منطق أرسطو ، وأرجانوم بيكون ومنهج ديكارت كلها آلات تعصم مراعاتها من الوقوع في الخطأ والزلل . وهذا اتجاه فكري له أصالته في تاريخ العقل من غير شك .

وما كان ديكارت — وهو الفكر الجريء — بقادر على أن يهدم التراث الفكري دفعة واحدة ، فقد اصطلحت عليه العوامل الدينية والواجبات المدنية والتكاليف الاجتماعية فلم يقدر على دحضها ، وإن كان قد مسها مسا هينا لينا . وبحسب العقل عنده

ولا على تقدير الفاء ولكن لما لم يظهر لأداة الشرط تأثير في فعل الشرط لكونه ماضيا ضعف عن العمل في الجواب . وهذا على مذهب أن فعل الشرط هو الذي يجزم الجواب وهو غير الرأي الذي عليه التحقيق إذ يلزم أن يكون الجواب معمولا لأداة الشرط لفظاً ولا تقديراً . والجزم وليس قوة ميكانيكية ... يطل تأثيرها إذا انتهى إلى فاصل لا يتأثر بها فلا تتعدى إلى ما وراء هذا الفاصل. ثم أن فعل الشرط إذا كان مضارعا مبنيا كان كالماضي في عدم ظهور الجزم فيه ومع ذلك لا يرفع الجواب بعده . فبطل هذا الرأي كله .

(٨) إن القرآن الكريم وهو أفصح الكلام لم يأت في رفع الجواب مطلقا بل جاء بالعكس في قوله تعالى : من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها . وقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها

فيخلص من كل هذا أن أقوال النحاة ساقطة كلها وأن الأساس الذي بنيت عليه من السماع مجهول لم يأت به أحد وأنه لم يفرق لأحد منهم عن علة مقنعة في زعمهم رفع الجواب بل عارض بعضهم بعضا ، ومتى تعارضت الأقوال تساقطت . وأن الأصل الصحيح الذي بين أيدينا وهو القرآن الكريم ينكر هذه القاعدة فلم يأت بها ولا مرة واحدة وأتى بخلافها مراراً ، فكيف يكون التأويل بعد هذا وما هو الوجه الصحيح وكيف يدفع السماع الذي نصوا عليه وكيف يكون الدفاع عن هؤلاء النحاة وهم قد عجزوا عن البرهان القاطع ؟ » اه

هذا قليل من كثير من آراء شيخنا الرافعي رحمه الله في الاجتهاد اللغوي نجتزيء به اليوم ولعل الله يعيننا على أن نأتي يوماً بكل آرائه وأن نحصي كل ما وصل إليه باجتهاده .

المنصورة — محمود ابو ريه

أن يكون قوة الحكم الصحيح[1] أى القدرة على التميز بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والجميل والقبيح بشعور داخلى تلقائى مباشر . وأيا ما كان من سلوك ديكارت فإنه فوض كل تفسير إلى الله ، وترجم بذلك عن روح مسيحى خالص .

ولقد سار على هذا النحو « بوسويه » Bossuet فهو يقول : « الفهم l'entendement من حيث يبدع ويتداخل يسمى روحا esprit ، ومن حيث يحكم ويوجه نحو الحق والخير والجمال يسمى عقلا raison أو jugement ، ثم إن العقل raison من حيث يجنبنا شر الإنسان الذى هو الخطيئة يسمى الضمير conscience »[2] ويقول فى نفس الكتاب «العقل هو الذى أعطانيه الله لهدايتى» وموضوع هذا العقل الحقائق الباقية ، وهى فى الله بل هى الله ذاته ، ويذكر من هذه الحقائق الباقية : حقائق الرياضة وقوانين الحركة والأصول الأخلاقية . ويقول : إن هناك صلة وثيقة بين القانون والعقل ولا يمكن أن يوجد نظام بين الأشياء ما لم يكن فى العقل هذا النظام الذى نستطيع أن نفهمه بالعقل فقط ، وما القانون إلا سبيل العقل وموضوعه المباشر » .

ويقول أيضا « نحن نتفق توا وعلى الدوام عقلا هو أسمى منا كما نستنشق الهواء الذى هو غريب عنا » ويستطرد قائلا « كل منا يحس فى نفسه عقلا محدودا ومتغيرا ، وهو لا يصحح خطأه إلا إذا اتصل بعقل أسمى كلى لا يتغير . أين هذا العقل السامى ؟ هو الله الذى أبحث عنه ، هو ذلك الموجود الكامل كمالا لا نهائيا يتمثل فى نفسى مباشرة عندما أدركه ، وذاته هى الفكرة التى لدى عنه »[3]

وقد تأثر « فينيلون » Fénelon بكتاب « بوسويه » عن « وجود الله » وصبغ نظريته صبغة صوفية مثالية ، وبوسويه وفينيلون وملبرانش متفقون على أن كل صلة بين العقل والحق الخالد هى صلة مباشرة بين العقل الإنسانى والله . وليس يهمنا هنا ما كان بينهم من تباوت تفريعى غير أن ملبرانش أنكر كل ما سوى الله ، وكأنه يقول بلسان عربى قويم «ألا كل شىء ما خلا الله باطل » ، فالله وحده هو الذى ندركه مباشرة وهو مصدر الحقيقة ، ومحل المعانى ، وحينما نفكر بوضوح وجلاء أو بلغة ملبرانش حينما « نصلى صلاة طبيعية » نكون فى الله ونراه . فيه انطوى العالم المعقول .

ويقسم « سبينوزا » Spinoza المعرفة إلى أنواع أربعة : حسية ، وتجريبية ، وحدسية ، وعقلية . والمعرفة العقلية هى المعرفة الحقة لأنها لا تعتمد على الأفكار العامة ، وإنما تعتمد على خواص مشتركة يمكن تجريدها من كل تجربة حسية كالامتداد والشكل والحركة . ووظيفة العقل هى ان يعمل على ربط الاشياء بهذه العناصر المعقولة ، والعقل قابل passive إن كان تحت تأثير الحس والتخيل ، وفاعل active إن كان يولد حركة الطبيعة من الفكر الإلهى الذى عنه يصدر كل شىء .

وحين يعترف « ليبنتز » Leibnitz بالمبادىء الفطرية يستلزم التجربة قبل أن يصل ما لدينا بالقوة إلى الفعل ، أى بأسبقية التجربة الحسية على التعقل .

أما « لوك » Locke فقد عارض مذهب المعانى الفطرية ، وانعكس على نفسه ، وبالقياس التمثيلى انتهى إلى فكرة عقل خالق ، وبتوسيع معانى القوة ، والدوام والعلم والقدرة إلى ما لا نهاية ننتهى إلى تكوين فكرة عن الله . العقل عنده هو ملكة التجريد التى ليست للحيوان . وأوضح ما نستدل به على معنى العقل عند «لوك» قوله « إن القوة التى تكتشف الوسائل وتطبقها على صواب لكى تكتشف الحقيقة فى إحداها ، والاحتمال فى الأخرى ، تلك القوة هى مايسمى : العقل Raison »[1]

ويضع للعقل أربع درجات :

الدرجة الأولى وهى أرقاها : اكتشاف الحقائق .

الدرجة الثانية : الميل إلى ترتيب هذه الحقائق ترتيبا منهجيا لتحقيق قوتها والصلة فيما بينها وإدراكها فى وضوح ويسر .

الدرجة الثالثة : إدراك هذه الصلة .

الدرجة الرابعة : عمل النتيجة الصحيحة .

وهذه الدرجات كما يقول « لوك » يمكن مشاهدتها فى البرهان الرياضى ، ثم هو يحمل الأشياء بالنسبة للعقل ثلاثة :—

١ — أشياء وفق العقل : كالقضايا التى نكتشف صدقها

1, La méthode
2, Traité de la connaissance de Dieu et soi-même
3, Traité de l'existence de Dieu.

1. Essay concerning the human understanding.

باختيارها وبتتبع الأفكار التي لدينا عن الحس والتفكير ، وبالاستدلال الطبيعي تكون إما حقيقية أو محتملة .

٢ — أشياء فوق العقل : وهي القضايا التي صدقها أو إمكانها لا نستطيع استنتاجه من هذه المبادىء .

٣ — أشياء ضد العقل : وهي القضايا التي تتنافى مع أفكارنا الواضحة . وعليه يكون وجود إله وفق العقل ، ووجوداً كثر من إله ضد العقل ، وبعث الموتى فوق العقل .

وقد عنى « هيوم » D. hume بالمعرفة الإنسانية ، وعالج الشك واليقين ، وأنكر العلية التي ليست في نظره غير عادة عقلية ، وبذلك تبنى الحركة الإلحادية بطريق فلسفي سيكولوجي .

أما « كانت » Kant الذي أيقظه « هيوم » من سباته ، فكان أول ناقد منظم للعقل ، يقول « أقصد بالعقل كل ملكة سامية للمعرفة . »[1] والعقل النظري والعملي عنده هو « صورة العمومية » أما الفهم l'entendement فإنه ينتج عن الأول باتصال هذه الصورة بالمكان والزمان والحدس الحسي .

وللعقل خاصية اللانهائي ، وللحدس خاصية النهائي ، وبذا يميز بين العقل والفهم تفرقة هي عمود المذهب العقلي عند كل من « كانت » و « هيجل » .

وكما أن العقل هو القوة السامية التي تؤلف بين المدركات الذهنية ، كذلك الفهم يؤلف بين العناصر الحسية ، وهو يعرف العقل في مواضع مختلفة من « نقد العقل النظري » بأنه القدرة على التفكير وبأنه القدرة على الحكم . العقل إذن هو قوة المطلق الذي لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا إنسان ولا فلك . أما صلة العقل بالأشياء فليست إلا اننا نبحث عن سبب قوانين الأشياء في العقل ، ولا نبحث في الأشياء عن قوانين العقل .

ولقد وجد كل من فخت Ficht وشلنج Shelling وهيجل hegel من نقد « كانت » وفلسفته إلى القول بالأنا المطلق Absolute ego حين أنكروا الأشياء ما داموا لا يعرفون عنها شيئا . الأنا المطلق هذا هو مصدر اليقين ، والعقل بالتجريد يحصل على الشعور بالأنا المطلق باعتباره الحقيقة الوحيدة ومبدأ المبادىء . وزاد « شلنج » بألا فرق بين الشيء والشخص ولابد بين المعرفة والوجود ، كل شيء متضمن في العقل متحد بالمطلق ذاته ، ومنه يستنبط كل شيء ، وظيفة العقل هي العلم المطلق ، وقال « التفلسف في الطبيعة هو خلق الطبيعة »

ويقول « هيجل » بأن مقولات الفهم تتناقض إذا ما أريد تسويتها بالعقل ، فإذا تغير الفهم كان للعقل أن يحدد اتجاه هذه التغيرات كما يحدد التغيرات التي في قواعد الأخلاق ، ثم هو لا فرق عنده بين الميتافيزيقا والمنطق ، بين الواقع والمعقول

ويقول « فيكتور كوزان » V.Cousan في كتابه « الحق والجمال والخير » ما يأتي « نحن نتوصل إلى حكم خلو من أي استدلال وإلى بداهة مباشرة هي البت الشرعية لقوة الفكر الفطرية كالهام الشاعر ، وبراعة البطل ... وما الاستدلال إلا مسرح المعارك يسيبها العقل بالشك والسفسطة والخطأ ... ولكن فوق التفكير علم من النور والسلام ، فيه يدرك العقل الحقيقة من غير أن يدور حول نفسه ، وبهذا وحده تكون الحقيقة حقيقة ، وذلك لأن الله قد خلق العقل لندرك به كما خلق العين للنظر ، والأذن للسمع » . والعقل عنده تلقائي وغير شخصي ، وإذا كان قوة فردية كان حرا كالارادة ، أو متغيرا ونسبيا كالحواس ، وما العقل التلقائي إلا الإلهام .

أما « رافيسون » Ravisson فقد وحد بين العقل والشعور ، بين مبادىء المعرفة ومبادىء الوجود ، وجعل للشعور قوة ميتافيزيقية بينما سبقه « مير دي بيران » Maire de Beran إلى أن الشعور يعطينا معنى السبب الذي يصير مبدأ للسببية .

ويعرف « كوليردج » Coleridge العقل بأنه « قوة اليقينيات الكلية الضرورية ، ومصدر وجوهر الحقائق التي هي أسمى من الحس بعد حصولها على الجلاء فيما بينها » .

أما « برجسون » Bergson فقد ميز بين العقل والغريزة وافترض تشابها بين الغريزة والحدس ، هذا الحدس غريزة مفكرة إذ يقول : « ان الحدس يقودنا إلى صميم الحياة نفسها ، وأقصد بذلك أن الغريزة وقد أصبحت مفكرة ومنفصلة قادرة على الانعكاس على موضوعه وتوسيعه إلى غير حد »[1]

1. Critiqu dee la raison puer

1. GVolution creatrice

وبرجسون فى معالجة السيكولوجية للجهد العقلى قد فتح بابا جديدا لمعرفة خصائص العقل عن طريق الكشف عن وظائفه .

وثمت مدرسة الأمريكان أصحاب « البرجماتزم الذين رفضوا العقل كوسيلة للحقائق ، وكأداة للمعرفة ، رفض « هربرت سبنسر H.spencer » كل فكرة ليس لها صورة حسية فأنكر الحرية والاختيار كملكات عقلية ، وجاء « برس Ch, Pieree » ورفض كل فكرة غير صالحة للعمل ، وما الفكرة عنده إلا مشروع لعمل وليست فى ذاتها حقيقة ، ثم زاد عليه « وليم جيمس W, James » بأن كل عقيدة تؤدى إلى نتيجة مرضية فهى مقبولة وتوسع فى دائرة النتيجة الحسنة فاتخذ من العقل وسيلة للمحافظة على الحياة أولا ، وتنميتها واطرادها ثانيا وإذا بالانجليزى « شيلر » يتخذ من الإنسانيـــة مقياسا لصحة الفكرة .

هذه لمحة خاطفة طرقنا بها أبواب المدارس الفلسفية ، ومنها تبين لنا أن صرخة ســـقراط لم تذهب مع الريح ، بل وجدت أصداءها بين الفلاسفة فى شتى العصور ، ولكل وجهة هو موليها

أما رجال الدين ، فالعقل عندهم وسيلة لمعرفة الله ، التى « بالعقل تحصل وبالسمع تجب » . وما كان رجال الدين ليرفعوا من قيمة العقل حتى يطغى على الوحى الذى هو مصدر العلم اللدنى. ومعنى العقل بوجه عام هو مجموع الملكات الروحيـة من فكر وعاطفة وارادة ، ففى القرآن الكريم : العقل والقلب مترادفان ، وقد ورد فى الإسلام أن العقل حجة الله على عباده ، ودل القرآن على أن هذا العقل أمانة عرضها الله سبحانه على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا . هذه الأمانة هى العقل ، وكل أمانة لاشك عبء لا يتحملها إلا كل نبيل ، وإن كان فى تحملها ظلم لنفسه ، رجعل بما قدر له خلف الحجاب ...

ولا قيمة للعقل عند المتصوفين عامة ، لأنه وسيلة العوام ، أما خير وســـيلة فهى الحدس والكشف ، فلا بد من رياضة النفس وأخذها بالمجاهدة والتجرد حتى تتصل بالمنبع الأصلى وهو الله .

سئل « ذو النون المصرى » كيف عرفت ربك؟ فقال « عرفت ربى بربى ، ولولا ربى ماعرفت ربى» وقال « أبو الحارث المحاسبى » فى كتابه المخطوط « مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيـه » ما نصـه « إن العقل عند الله تعالى لا غاية له لأنه لا غايه لله عز وجل عند العاقل بالتحديد بالإحاطة بالعلم بحقائق صفاته ولا بعظيم بقدر ثوابه ولا عقابه»

وثمت جانب هام فى التصوف هو اعتبار النفس الانسانية سرا وكل سر لا سبيل إلى معرفته أو التعبير عنه إلا بالرمز ، ومن هنا كانت الكتب الرمزية مثل « حى بن يقظان » لابن طفيل و « سلمان وأبساله» التى ترجمها عن اليونانية « حنين بن إسحاق» ورسالتا « الطير » لابن سينا والغزالى ، و « غربة الغربيـــة » للسهروردى ، ولقد امتزج فى هذه الرمزيات العقل والروح والعمل والوحد .

والأخلاقيون اعتمدوا على معرفة النفس وقواها فى كسب الفضيلة وهجر الرذيلة ، واتخذوا من العقل مقياسا للأحكام الخلقية ، ورتبوا عليها الأوامر والنواهى . ويعتبر « كانت » أول عالم أخلاقى صمم فى تمييزه بين الأحكام المطلقة ، والأحكام المطلقة التى لا تتعلق بقوالب الزمان والمكان ، وإنما هى من شأن العقل المطلق ، ولا شك فى أن هذه نزعة مثالية إلى أبعد حد مردها الأخير إلى العقل لأنه وسيلة الحكم على السلوك بالخير والشر والقبح والجمال .

ورجال الاجتماع فطنوا إلى وجود روح هى نتيجـــة تفاعل الأفراد والجماعات ؛ وهذه الروح خاصيتها أنها ملكة التقويم الاجتماعى وتسمى فى عرفهم « العقل الجماعى

وزعيم هذه الفكرة « دوركيم » صاحب المدرسة الاجتماعية الفرنسية الحديثة .

ورجال السياسة نظروا إلى الحاكم نظرتين مختلفتين: الذكاء والدهاء . فافترض بعضهم فى الحاكم أن يكون ذكى القلب حسن التدبير ، بصيرا بالأمور النظرية والعملية وافترض البعض الآخر أن يكون الحاكم داهية مراوغا مصانعا غير عابىء بالأوضاع المرسومة إذ الغاية تبرر الواسطة ، هذه هى السياسة الميكافيلية المعروفة فى كتابه « الأمير »

٣٤ . ٤٠

ومن فلاسفة الاجتماع السياسى « منتسكيو » الذى كاد يتفق مع ابن خلدون على وجوب اشتقاق القوانين من « روح القوانين » [1] وهو ما قال به أيضا « جوستاف لبون » .

ونمت مدرسة تعارنت على تفهم العقل كملكة إنسانية لها قيمتها . فاستعانوا بالتشريح على هـذه الغاية فعرف البيولوجيون الجهاز العصبى فى نشوئه وارتقائه ، ووقفوا على تكامله الداخلى والخارجى ، وتتبعوا الأنخاخ فى كل الفصائل الحيوانية حتى عرفوا مراكز المخ ، وبذلك ســـاعدوا رجال علم النفس على رد أنواع السلوك إلى مراكز كانت من قبل وهما وضربا من التخمين. غير أن علماء النفس لم يهتموا بالعقل إلا على أنه ملـكة الإدراك العام، ودرسوه باسم Intelligence

أما الفيزيقيون فقد استقرأوا الظواهر وتوصلوا إلى قوانين ضرورية ثابتة هى غاية مايطمح إليه العقل البشرى ، وهم بوسائلهم المعروفة فى النظر والتجريد والاستدلال أعانوا على كشف الحياة والسيطرة عليهـا ؛ غير أنهم لا ينـكرون الفـكرة السعيدة التى تأتى الواحد منهم فى ساعة التجلى والتجرد فيلهم الجواب على المشكلة التى طالمـا عصر من أجلها ذهنه ، كما أتاحت لنيوتون فرصة كشف قوانين الجاذبية ، وكما اكتشف أرشميدس قانون الضغط إذ هو فى الحمام .

أما أهل الفن فقد نظروا إلى الناحيـة الوجدانية من النفس الانسانية دون الجوانب الأخرى فعبروا عن أصـــداء الحياة فى النفس تعبيرات شتى بالتصوير والنحت والنقش والموسيقى والغناء والشعر . وكل واحد يتمنى لو طار بجناحين إلى ذلك الوادى الذى يومض إليه من حين إلى آخر بومضات ينفذ إليها الخيال مسترقا ما يستطيع من روائع الفن وآيات الجمال .

وبعد : فهل للعقل وجود حقيقى ؟ لا شك أنى موجود ، ولا شك أيضا فى أنى أعرف أنى موجود . وهل معرفة من غير عقل ؟ قد يقـال إن الحيوان يعرف أنه موجود ، فهل معنى ذلك أنه ذو عقل ؟ نقول : لو ظل الإنسان كالحيوان فى مجرد معرفته الواهمة — كما يقول ابن سينا — لمـا زاد عليه شـــيئاً وإنما الإنسان يعرف ويعرف أنه يعرف ، ولا كذلك الحيوان .

ولـكن إذ نحاول معرفة هـذا العقل نحن نرجع إلى العقل . أليس فى ذلك دور كما يقول المناطقة : نريد أن نعرف ما لا نعرف بهذا الذى لا نعرف . نحن إذن واهمون فى هـذه الحياة ، وكل ما لدينا من معرفة هو أننا واثقون من هذا الذى نحن فيه واهمون .

ومع هذا فإن العقل يدعى معرفة الحياة وماوراءها ويدعى الحرية والطلاقة ، أليس فى هذا مرة أخرى دليل على أن العقل كلما ازدادا وثوقا بنفسه ازداد وهما لو كان لدينا محك للنظر لاستطعنا التخلص من هذا الوهم ، ولـكن شاء العقل أن يتوهم من نفسه مقياسا على نفسه . ولو أن الغزالى عرف سبب حيرته ما بقى فى حيرة كما يقول فى « المنقذ من الضلال » ، ولـكن يجب على العقل أن يعرف حدود نطاقه فلا يتعداها ، وما أشبه العقل — كما يقول ابن خلدون — بميزان الذهب فى دقته ، فهل من العقل أن يتخذ هذا الميزان المرهف الحساس فى وزن الجبال ؟ كذلك يجب ألا يتطال العقل على الآفاق الإلاهية فيدعى معرفتها ويقتحمها فى ادعاء صارخ .

اصطحب موسى الخضر فعلمه ثلاثا هى فى حدود العقل مرذولة ولـكنها فى علم الله غير ذلك ، وحسب الإنسان « مرضية فـكرية » تطمئنه فى عجاج الحياة ، فلئن هفا إلى ما فوق الحيـاة فلن يكون كموسى عليه السـلام إذا تجلى ربه للجبل فخر موسى صعقا .

محمد محمود زيتون

(١) راجع فى الرسالة مقالنا: القوانين والمجتمع فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩

تاريخ الأدب العربى

أحمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية
العصر بأسلوب قوى ، ومستيعاب موجز وتحليل مفصل
واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى
طبع اثنى عشرة مرة فى ٥٢٥ صفحة
وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد

«كذلك» في القرآن الكريم

الأستاذ أحمد أحمد بدوى

وردت «كذلك» في القرآن الكريم، في أكثر من مائة موضع. ولوجود الكاف، وهي للتشبيه، فيها ظن كثير من العلماء أنها لا تكون إلا للتشبيه ومضى في كل آية وردت فيها هذا التعبير، يبين التشبيه في الجملة. وفي كثير من الأحيان لا يبدو معنى التشبيه واضحا، فيتلمس مقوماته، ويتكلف تفسيره تكلفا. يوحي بهذا له هذا التشبيه، وأنه لم يزد المعنى جلاء، وهو الغرض الأول من التشبيه.

وقد تتبعت هذه العبارة فيما وردت فيه من الآيات، فوجدتها أكثر ما تأتي لمعان ثلاثة:

أولها التشبيه، وذلك عندما يراد عقد الصلة بين أمرين ولمح ما بينهما من ارتباط، وهنا يؤدي التشبيه رسالته في إيضاح المعنى وتوطيده في النفس، نجد ذلك في قوله تعالى: «وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته، حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت، فأنزلنا به الماء، فأخرجنا به من كل الثمرات، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون»؛ فالصلة وثيقة بين بعث الحياة في الموتى، وبين بعث الحياة في الأرض الميتة، فتنبت من كل الثمرات. وإن فيما نراه بأعيننا من هذه الظاهرة الطبيعية التي نشاهدها في كل حين، إذ نرى أرضا ميتة لا حياة فيها، ثم لا يلبث السحاب الثقال أن يفرغ عليها مطره، فلا تلبث أن تزدهر، وتخرج من كل زوج بهيج — إن في ذلك لما يبعث في النفس الاطمئنان إلى فكرة البعث، والايمان بها، فلا جرم انعقد التشبيه بين البعثين، وزاد التشبيه الفكرة جلاء.

واقرأ قوله تعالى: «إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة، إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين، ولا يستثنون، فطاف عليها طائف من ربك، فأصبحت كالصريم، فتنادوا مصبحين، أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين، فانطلقوا وهم يتخافتون، ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين، وغدوا على حرد قادرين، فلما رأوها قالوا: إنا لضالون، بل نحن محرومون، قال أوسطهم: ألم أقل لكم لولا تسبحون، قالوا: سبحان ربنا، إنا كنا ظالمين، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين، عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون، كذلك العذاب، ولعذاب الآخرة أكبر، لو كانوا يعلمون»، أرأيت أصحاب هذه الجنة وقد أقسموا أن يستأثروا بثمر جنتهم، وأن يجنوا ثمارها مبكرين في الصباح، ولم يدر بخلدهم الاستعانة بالله في عملهم، وبينما هم يستعجلون قدوم الصباح، ويحلمون بالثروة التي ستدرها عليهم حديقتهم، طاف على تلك الجنة طائف أباد ثمرها وهم نائمون، وفي بكرة الصباح أسرع بعضهم ينادي بعضا أن الخير في البكور، فانطلقوا لا تكاد تسمع لأقدامهم رقما، يتهامسون وهم يعمدون، كي لا يسمع مسكين صوتهم فيقربهم، ولقد وصلوا إلى حديقتهم، وأطمأنوا إلى أنهم سيقدرون على إحراز غلتهم. ومنع المساكين منها، فإذا بهم إلا أن وجدوا أشجارهم بلا ثمار، وجنتهم جرداء مقفرة؛ هنا لك ملأ الندم قلوبهم، وأخذ بعضهم يلوم بعضا، يتحسرون على أمل قد ضاع، وعلى ما اقترفوه من ظلم وطغيان. أرأيت هذا العذاب الذي صار إليه هؤلاء القوم، عذاب من فقد أمله، وقد كان قريبا من يده، وعذاب من يؤنبه ضميره على جرم اقترفه، وقد رأى جزاءه أمام عينيه. ألا ترى أن هذا العذاب النفسي الأليم جدير بأن يكون مثلا ينذر به الله كل من يتصرف تصرف أصحاب هذه الجنة.

وهي أيضا للتشبيه في قوله سبحانه: «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا؛ تبتغون عرض الحياة الدنيا، كذلك كنتم من قبل، فمن الله عليكم، فتبينوا»، وقوله تعالى: قالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون» وما على نسق هذه الآيات، مما تعقد فيه الكاف صلة بين أمرين.

وتأتي كاف «كذلك» في كثير من الآيات بمعنى مثل، في قولك: مثلك لا يكذب، تريد: أنت لا تكذب، وفائدة مجيء مثل الاشارة إلى أن من له صفاتك لا يليق به أن يكذب. نجد ذلك في مثل قوله تعالى: «ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله، وتثبيتا من أنفسهم، كمثل جنة بربوة، أصابها وابل، فآتت أكلها ضعفين، فإن لم يصبها وابل فطل، والله بما تعملون بصير، أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب، تجري من تحتها الأنهار، وله فيها من كل الثمرات، وأصابه الكبر، وله ذرية ضعفاء، فأصابها إعصار فيه نار، فاحترقت؛ كذلك يبين الله لكم الآيات، لعلكم تتفكرون»،

فالمعنى على أن الله يبين الآيات ، ذلك البيان الجلي الواضح المؤثر ، لعله يثمر ثمرته ، فيدعو سامعيه إلى التفكير والتدبير ، ذلك هو ما أفهمه من هذا التعبير ، ولا أفهم أنه يريد أن يبين آيات غير هذه الآيات ، بيانا يشبه بيان الآيات السالفة ، وإذا أنت حاولت عقد التشبيه على حقيقته ، رأيت فيه تفاهة وقلة غناء . وخذ قوله تعالى : « إن الذين كذبوا بآياتنا ، واستكبروا عنها ، لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ، وكذلك نجزى المجرمين » ، فليس المراد — على ما يظهر لى — أن المجرمين يجزون جزاء يشبه الجزاء الموصوف فى الآية الكريمة ، وإنما يجزون هذا الجزاء نفسه ، من غلق أبواب السماء فى وجوههم وأنهم لا يدخلون الجنة أبدا . واقرأ قوله تعالى : « تلك القرى نقص عليك من أنبائها ، ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » ، تر المراد أن الله يطبع على قلوب الكافرين ، ذلك الطبع الذى يحول بينهم وبين الايمان بما كذبوا من قبل . وإذا أنت حاولت عقد تشبيه ، لم تجد فيه كبير غناء ، إذ يصير المعنى ، يطبع الله على قلوب الكافرين طبعا يشبه طبعه على قلوب الكافرين وفى ذلك ما فيه من ضياع قيمة التشبيه .

فمن هذا يبدو أن التشبيه فى هذه الآيات وأمثالها غير ملحوظ ، وإنما يراد توجيه النظر إلى ما سبق هذه الأداة فحسب . وتأتى الكاف حينئذ إشارة إلى أن ما ذكر فى الآيات وأشير إليه ، قد بلغ من الكمال مبلغا عظيما لدرجة أنه صار نموذجا كاملا ، يمكن أن يتخذ مثالا ، يشبه به سواه ، فقد أفادت الكاف بلوغ المعنى تمامه .

وتأتى « كذلك » أيضا لتحقيق المعنى وتثبيته ، ولا يبدو فيها التشبيه ، كما تجد ذلك فى قوله تعالى : « قالت : أنى يكون لى غلام ، ولم يمسسنى بشر ، ولم أك بغيا ، قال : كذلك ، قال ربك هو على هين ، ولنجعله آية للناس ، ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا » .

ومحاولة خلق تشبيه من هذه العبارة لا يؤدى إلا إلى التكلف والتفاهة معا . ويقدر بعض العلماء فى مثل هذا التركيب أن كذلك خبر لمبتدأ محذوف تقديره الأمر كذلك ، ونحن نوافق على هذا التقدير وليس فى كذلك تشبيه هنا ، وإنما المراد : الأمر هو ما أخبرت به لا ريب فيه ، ومن « كذلك » هذه التى للتحقيق والتوكيد ، تولدت كلمة « كده » فى اللغة العامية للدلالة على التحقيق أيضا ، ونحن نستخدمها فى ذلك المعنى عند ما نقول : الحق كذلك ، تريد الحق والصواب هو ذلك ، ولعل السر فى المجىء بكاف التشبيه هنا هو بيان تمام المطابقة بين الحقيقة الخارجية والحقيقة الكلامية ، أى أن ما يكون فى الواقع يطابق ما دل عليه الكلام .

وقد « كذلك » التحقيق إذا كانت هى ومدخولها جملة مستقلة كما فى الآيتين السالفتين وما على شاكلتها . وتفيد التحقيق وتأكيد الجملة فى غير هذا الموضع أيضا ، ويكثر ذلك عند ما يليها فعل ماض ، كما فى قوله تعالى : « أو من كان ميتا فأحييناه ، وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ، وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ، وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون » ؛ فلا تجد للتشبيه موضعا فى هذه الآية ، وإذا أنت حاولته وجدته لا يغنى فى التصوير شيئا ، « وكذلك » هنا تؤدى معنى « قد » ولها أمثلة كثيرة فى القرآن ، كقوله تعالى : « فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون . كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » ، وقوله تعالى : « ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا ، كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين » ، : « وقوله تعالى : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ، كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك » ، وربما جاءت افادتها للتحقيق من كثرة مجيئها لبيان التطابق فتنوسى ذلك التطابق ، واستعملت فى لازم معناها الأصلى الذى تنوسى .

واستعمال « كذلك » للتحقيق والتوكيد ، لا يقل عن استخدامها فى التشبيه ، وكثير من المفسرين يتكلف جعلها فى تلك المواضع أيضا للتشبيه ، فيتمحل ، ويمضى فى تأويلات لا نصيب لها من البلاغة ، وقوة الفن .

ومما ذكرناه يبدو أن تلك العبارة لا تقف عند حد التشبيه ، بل لها هذه المعانى الثلاثة التى شرحناها

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم

منزلة العبقرية الدينية بين العبقريات

للاستاذ محمد خليفة التونسي

— ٢ —

وإذا نحن نظرنا في اتخاذ القياس السابق — وهو تمييز العبقرية بآثارها التي من شأنها أن تؤثرها في الناس سواء أظهرت هذه الآثار أم لم تظهر فعلا — لكي نميز بين عباقرة العقائد — لوجب أن نضع في الصف الأول عباقرة العقائد الدينية وهم الأنبياء، لأن آثارهم في المجتمع وصلاتهم به من الوجوه الستة التي فصلناها قبل أوضح وأعمق وأشيع مما هي عند غيرهم من عباقرة العقائد. وفوق ذلك فإن وضع امتيازهم يختلف عن وضع غيرهم من العباقرة:

١ — فالنبي حين يعلم الناس عقيدته الدينية، ويفجر في نفوسهم بواعث الإيمان بالروابط التي تربطهم بالكون وما وراءه، فتتفجر معها كل البواعث في بنية النفس الإنسانية — يبدو كأنه روح جبار تجسد لتخليص أرواح الناس من ضعف البشرية المطبق عليهم، ويظهرون هم بإيمانهم كأنهم مردة ولدوا ولادة جديدة، وهذا التغير الشامل لا تحققه إلا العقيدة الدينية.

٢ — والملكات اللازمة للدخول في العقيدة الدينية هي الملكات النفسية المفرطة في العادية، وليست كذلك الملكات اللازمة مثلا لقبول العقائد الفنية أو الفلسفية أو الصوفية ونحوها، ومن ثم كان من شأن العقيدة الدينية أن تلاقي من الرواج بين النفوس أكثر مما يلقى غيرها، وكانت العقائد الدينية موجهة إلى الكافة لا إلى طبقة ولا فئة خاصة، لأنها في مداخلها البسيطة إنما هي دعوة إلى تسليم وسلوك بسيطين، لا عويص فيهما على العقول، ولا مشقة فيهما على النفوس، وبخاصة إن كانت الدعوة إليها في بدء أمرها على يد عبقريها الأول الذي جاء بها، فهو يملك من أمرها ويملك من صياغتها في الصورة المناسبة للطبائع والقوى والأموال ما لا يملك القائمون بها بعده، كما أنه يفهم الطبائع والقوى والأموال خيراً مما يفهمها القائمون بها بعده. فهذه فروق ثلاثة بين حال المؤسس وحال التابعين ينبغي الالتفات إليها هنا.

ولكن ليس معنى أن مداخلها بسيطة، وأنها دعوة إلى تسليم وسلوك بسيطين، وأنه لا عويص في فهمها ولا إحساس بثقل في حمل تبعاتها، وأنها موجهة إلى الكافة — أنها لا تصلح للممتازين، فإن من وراء مداخلها البسيطة آفاقا سامية من الشعور والذوق والفكر لا يعيها إلا الممتازون، وفيها لهم شاغل ورضا.

٣ — والداخل في العقيدة الدينية يرى نفسه صورة مصغرة من النبي له كل حقوقه، وعليه كل واجباته، غير دعوى النبوة، وخليفة الله في أرضه بين عباده ينطق لهم بلسانه ويبلغهم رسالاته وفي ذلك ما فيه من عزاء لنفسه مهما تكن مواهبه تافهة، وإرضاء لكبريائه، واشباع لغروره ورضاء عن نفسه، فهو يشعر بأنه تدفيها وفي امتيازاتها والتعصب لها والغيرة عليها، والدعوة إليها لأعظم المنتسبين إليها حتى النبي، وله بعد ذلك مكافأتها في الدنيا، وثوابها في الأخرى، وليس ثواب أعظم من الثواب الموعود به في العقائد الدينية ولا سيما الثواب الأخروي.

٤ — وإذا كان صاحب العقيدة بسامة لا يشعر ولا يفكر ولا يعمل في معزل عن الجماعة، ولو كان خاليا بنفسه، وفي ذلك ما فيه مما وضحناه قبل، فصاحب العقيدة الدينية بخاصة إنما يشعر ويفكر ويعمل وهو على أوثق الصلات بالجماعة وبالكون كله وبما وراء الكون أيضا، فالداخل في العقيدة الدينية يشعر ويفكر ويعمل وهو مستند إلى الله، مراقب له، مطمئن إليه، منفذ لأمره، مهتد بهديه، مستغرق في حبه، فإن فيه. هذا إلى صلاته القوية بالمجتمع الذي يظهر فيه، ونظرته إليه نظرة شاملة، وإحساسه به إحساسا عاما. والعقيدة الدينية تربط الجماعة أقوى مما تربطها عقيدة أخرى، وتشعر الإنسان بروابط أقوى وأكثر مما تشعره عقيدة أخرى، ومن ثم كان صاحب العقيدة الدينية أشد شجاعة واطمئنانا وأعظم استعدادا للبذل والفداء، وأصبر على احتمال المشقات، وأدق فهما لغايته منهجه من كل من عداه ولو كان من المعتنقين لعقيدة أخرى وطنية أو عنصرية أو سياسية ونحوها. فهو لا يحس بالوحشة ولا القلق ولا الضعف ولو تبرأ منه جسمه الذي يلبسه، أو قدم روحه فداء لعقيدته، فهو يستشهد وعلى فمه ابتسامة النصر، وفي قلبه فرحته.

٥ — والنبي في وعيه البديهي للنفس الإنسانية خوافيها وظواهرها، وتقديره لكل شيء فيها قدره يبدو كأنه روح مرصدي وعي إبداع الله إياها، وتقديره أقدارها، ووعي إبداع الله الحياة كلها، وتقديره لكل شيء فيها قدره، فلا تخفى عليه خافية من جانب ولا وظيفة لجزء في النفس ولا الحياة، فلا جهل بشيء، ولا جهل بطاقته ولا بوسائل استثارته، ولا خطأ في تقدير حي ولا في التشريع له، ولا تضارب بين التقديرات والتشريعات المختلفة أشد الاختلاف. فالنبي — يشرع للنساء والأطفال وهو رجل، وللمستعبدين وهو حر، وللضعفاء وهو قوي، وللقاصرين وهو رشيد، ولكل الطوائف والمراتب الذين ليسوا من طائفته ولا مرتبته كأحسن ما يمكن أن يشرع هؤلاء المختلفون عنه لأنفسهم لو وكل إليهم التشريع لأنفسهم والتزموا ما يلتزم من الحزم والعزم والعدل والضبط والتوفيق بين وجهات النظر المختلفة لشتى الطوائف في شتى الدرجات. فهو إنسان كامل له أن يحس بكل ما يحس به كل إنسان وأن يفكر فيما يفكر فيه كل إنسان مهما اختلف عنه في خلقه وتفكيره وشعوره وطاقته على اختلاف الأزمنة والأمكنة.

٦ — والنبي — في شخصيته القوية الشاملة وسيرته العالية وأقواله النابغة يبدو كأنه روح جبار تجسد ليطبع الناس على صورته طبعا لا فكاك لهم منه، ويظل ماثلا للناس حتى بعد موته كأنه خالد لا يموت، وكأن كل إنسان من أتباعه صورة مصغرة ناقصة له فيما يأخذ به نفسه في شخصيته وسيرته وأقواله وهو يحتذي نبيه سواء أكان بين الناس أم كان خاليا بنفسه، وكأنما النبي رقيب عليه ملازم له يحصي كل أعماله وأقواله ونياته.

وكأنما النبي فيما يكشف للناس بشخصيته وسيرته يكشف لهم من ناحيتين متقابلتين أوسع وأسمى ما يمكن أن تمتد إليه الإنسانية حتى تتصل بالسماء، وأضيق وأدنى ما يمكن أن تنكمش إليه حتى تتصل بالأرض، وبه تنكشف لهم الصلة كلها من أقصى طرفيها بين السماء والأرض، أو بين الله والإنسان وأمثاله من الأحياء. وبانكشاف هذين الجانبين يندلع الأمل من جانب أمام أصاغر الناس حتى لا يفقدوا ثقتهم بأنفسهم ولا ييأسوا من روح الله، كما يتقاصر الغرور والكبرياء من جانب أمام أعاظم الناس حتى لا تبلغ بهم الثقة بأنفسهم حد التأله وعدوان الحدود البشرية، والاستعلاء على غيرهم من البشر فيخسروا بذلك أنفسهم ويخسرهم المجتمع. فالنبي يحمي كل صغير من السقوط إلى حيث يتحطم، ويحمي كل عظيم من التحليق إلى حيث يضيع ويتبدد، كما تحفظ حاذبية كل كوكب ما عليه من أجسام.

٧ — والامتياز مثار الحسد والحقد، ولا سيما الامتياز الذي يكون مرجعه اختلاف عنصر الممتاز عن غيره، فهو امتياز لا أمل في مثله مهما أسرف طالبه في الجد والمثابرة، لأن الامتياز لاختلاف العنصر موجب للغربة والبعد بين الممتاز وغيره فيما لا حيلة لهما فيه من الطبائع والأمزجة والمشاعر وغيرها مما لا يقبل التغيير.

وإذا كان امتياز الأنبياء من هـذا القبيل الذي يستلزم بطبيعته إثارة أشد الحسد والحقد إلا أن وضع النبي يختلف عن وضع غيره من العباقرة

فالعباقرة مشغولون غالبا بإخراج آثار عبقرياتهم عن مزاحمة الناس على مناعم الحياة ولذائذ الدنيا. ومامن عبقري يشغله ما يشغل غير العباقرة وزين له كما زين لهم « حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث » لأن له في تحقيق رسالته المستمدة من عبقريته شاغلا يستغرق كل اهتمامه أو يكاد، عن كل هذه المطامع العارة التي تستغرق كل اهتمام من لم توكل إليهم رسالة من رسالة الغيب، وقد تذهل العبقري رسالته عن أموره الخاصة، فيزهد في كل ما في أيدي الناس مما لا يعنيهم غيره. وفي هـذا الزهد ما يخفف حسد الناس وحقدهم على العباقرة، بما يتركون لهم من التفوق عليهم في الأمور التي تعنيهم، وعـدم منازعتهم إياهم في ميادينهم التي تستلفت كل اهتمام، ولا حيلة لهم ولا مطمع في التبريز إلا فيها كجمع الأموال واقتناء العقار والقبول عند النساء وترف المعيشة وتحصيل العلوم ونحو ذلك مما يخرج عن نطاق الرسالة وليس ركنا فيها ولا شرطا من شروطها، وقد ينزلون عن أملاكهم وسلطانهم، وفيهم من كان ملكا فعدل عن أن يسوس رعيته سياسة الملوك، وساسهم سياسة الأب أبناءه أو الأخ إخوته

فى تواضع وزهد ومحبة ، وتمسك بنشر عقيدته كما يؤمن بها معرضا بذلك ملكه ونفوذه الدنيوى للضياع فداء عقيدته .

ووضع النبى يختلف أمام الناس عن وضع غيره من العباقرة ولو كانوا من دعاة العقيدة من حيث حسد الناس إياه على ما يتمتع به من امتياز ، لأن امتيازه بالنبوة — كما يفهم هو ويفهم من حوله ليس إلا منحة من الله لا فضل له فيها ، وهو فى غيرها — كما يفهم هو ويفهم الناس حوله — ليس إلا إنسانا مثلهم لا يمتاز منهم فضل « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى » وفى ذلك مافيه مما يهون أو يمحق حسد الناس إياه وحقدهم عليه فى فضله عليهم بالنبوة .

هذا إلى أن النبى أزهد من كل من عداه من العباقرة فى تلك المطامع التى أشرنا إليها قبل ، فهو يعيش عيشة الزهاد المتقشفين فى طعامه ولباسه ومركبه وأداته وسائر حاجات حياته اليومية ، ويلزم أهل قرابته معيشة كمعيشته ، مما لا يصبر عليه إلا « أولو العزم » ولو نشأوا على الترف والبذخ فى قصور السيادة والإمارة

وهو فى سمة أفقه الروحى ، ومعرفته البدهية للناس أكثر من معرفتهم أنفسهم ، وعلمه بما ينطوون عليه من ضعف وسخافة وقصور ، وحرصه المخلص على منفعتهم — إنما ينظر إليهم نظر الأب الكريم إلى أطفاله القاصرين لا إلى أنداده الراشدين ، ويعاملهم كما يعامل الأب أطفاله لا أنداده ، فيتواضع لهم ، ويرحمهم فى ضعفهم وغرورهم ، ويتصاغر لهم وهو يشرف عليهم من عل دون أن يشعرهم إلا بأنه طفل مثلهم أو دونهم ، ويفسح لهم إلى جانبه أوسع ما يمكن أن يفسح تشجيعا لمواهبهم على الحرية والعمل ، بينما هو يأخذ نفسه — إذا ضيق عليهم أو شدد — بأضيق وأشد مما يأخذهم به ، بل هو يضيق على نفسه ويوسع عليهم ، ويحمل نفسه عبئه وعبئهم ، ويكون لهم ملجأ وسكنا فى كل محنة ، فيرون أنفسهم أكثر منه مغانم وأقل مغارم ، وأنعم حالا وأهدأ بالا مهما غلوا وأسرفوا على انفسهم فى التحدث والتعنف وفى ذلك ما يلطف نيران الحقد ويسكت شياطين الحسد والموجدة عليه فيما يمتاز به عليهم مهما يبلغ امتيازه من السمو والجلال .

وأقرب العباقرة إلى الأنبياء أشبههم بهم فى هذه المزايا العالية التى تستغرق الإنسانية والحياة وتتطلع إلى ما وراء العالم المشهود طبيعة وعملا .

ولا شىء يفجر فى النفس الإيمان الكامل الخالص إلا العبقرية لا سيما الدينية ، ولا أحد يصدق عليه هذا الإيمان إلا العباقرة ولا سيما الدينيين .

الإنسانية بعباقرتها عالم سماوى جميل شريف خير حقيق بالحب والتقديس .

والإنسانية بغير عباقرتها عالم طينى كريه حقير لا يستحق إلا المقت والاحتقار .

ومزاولتنا الحياة فى رعاية العبقرية لعب طليق تتفتح له الرغبات وتنشط به القوى ، فيشتهى ويستزاد .

ومزاولتنا الحياة فى غير رعايتها كدح ذليل فى الأغلال يميت الرغبات ، ويشل القوى ، فيعاف ويستعجل الخلاص بالموت منه قبل الأوان .

محمد عبد اللطيف القوسى

مجلس بلدى المحلة الكبرى

تقبل العطاءات بمجلس بلدى المحلة الكبرى حتى ظهر يوم الأحد ٤ يونيو سنة ١٩٥ عن توريد خمسين طن فحم حجرى نيوكاسل وعشرين طن فحم كارديف وتطلب الشروط من المجلس نظير دفع مبلغ مائتى مليم للنسخة الواحدة بخلاف ٣٠ مليم أجرة البريد وتقدم العطاءات مصحوبة بتأمين ٢ ٪ من قيمتها ولا يلتفت للعطاءات التى ترد بدون تأمين أو بعد الميعاد المحدد

٤٨٢٦

لنكن قوة تفعل لا مادة تنفعل

للدكتور محمد يوسف موسى

من الظواهر الاجتماعية التي نراها في كل عصر وبيئة ظاهرة الفعل والانفعال ، أو التأثير والتأثر ، أو بكلمة واحدة ظاهرة التقليد ، فانفعال الطفل بأبويه وإخوته ، وانفعال التلميذ بمعلمه ، وانفعال المريد بشيخه ؛ كل ذلك ، وما منه بسبيل ، مشاهد غير منكور

وإذا كان لكل ظاهرة سبب أو مجموعة أسباب ، تظهر بظهورها وتذهب بذهابها ، فإن سبب هذه الظاهرة مزيج من القوة أو التفوق من جانب ، وضعف الإرادة أو الشخصية من جانب آخر وقد يضاف إلى هذا وذاك كل العقل الذي يمنع من التفكير والاستقلال في الرأي .

على أنه قد يكون الشخص الواحد منفعلاً أو متأثرا في بعض ما يذهب إليه بآبائه والعلية من قومه المعاصرين له ، وإن اعتقد مع هذا أنه من المستقلين في الفكر والرأي ، ومن المحافظين على هذا الاستقلال والمعتزين به ، وذلك واضح لا يحتاج لضرب الأمثال .

ومع هذا لا عاب في التأثر بالغير في فكرة من الفكر ، أو مذهب من المذاهب ، أو طريقة من طرائق الحياة . بل إن هذا قد يكون ضرورة أحيانا كثيرة ، في حياة الفرد أو الجماعة ، ضرورة عليها الواقع وتفرضها الطبيعة .

يتأثر الطفل بأبويه ، ثم يتأثر بإخوانه ، ثم يتأثر . متى صار تلميذا ـ بمعلميه ويتخذ منهم مثله العليا . وهذا الضرب من الانفعال بالغير على هذا النحو ، أمر لا بد منه ولا حيلة فيه . إنه ضروري ليصل الصغير إلى معرفة كثير من الأمور ، ثم لينفذ من ذلك إلى تكميل نفسه فيما بعد ؛ بمعرفة أن له شخصية يجب أن تتكون وأن تكون مستقلة على قدر ما يمكن أن يكون هذا الاستقلال ؛ وبمعرفة أن له عقلا يجب أن يفكر به ليصل إلى إدراك أن هذا العمل شر وقبيح وإن أجمع عليه أبواه ومعلموه والناس جميعا ، وإن ذاك خير وجميل وإن كان قليل الأنصار . والنتيجة لهذا أن ينأى عن التأثر بالغير إلى درجة التقليد ، وأن يأخذ في الاستقلال في التفكير والرأي والعمل .

ومن الواضح ، بعد هذا ، أن الانفعال بالغير في هذه المرحلة من الحياة بصفة خاصة سنة من سنن الطبيعة لا بد أن تنزل على حكمها . ثم علينا متى تقدمت بنا السن ونضج العقل ، أن نحد منها ، وبمقدار ما نحد منها تتكون الشخصية ويظهر الاستقلال .

والانفعال بالغير كما نراه على أشده في المراحل الأولى من حياة الفرد الذي لا يزال في دور تكوين الشخصية ، نراه في حياة الجماعات في أول أمرها ، وفي حياة الأمة التي تحس ضعفها إزاء غيرها من الأمم . وفي هذا كله ، قد يكون التمثل بالغير في الخير ، كما قد يكون في غير الخير . وإلينا بعض المثل .

كان الأزهر إلى مفتتح هذا القرن العشرين شخصية خاصة به تتمثل ، فيما تتمثل فيه ، في طابعه الخاص في دراساته وامتحاناته ينتسب إليه من يريد غير مقيد بكثير من القيود التي نعرفها اليوم ، ويتلقى فيه العلم الذي يريد على من يحب من الشيوخ ، ثم متى أحس أنه وصل من المعرفة والعلم إلى ما يجيز له أن يكون من علمائه تقدم للامتحان . شأنه في ذلك ، إلى حد كبير ، شأن « السوربون » أو كلية الآداب بجامعة باريس هذه الأيام !

ثم أرادت الحكومة إصلاحه (أو إفساده لا أدري !) ، متأثرة بثورات الطلاب ومطالبهم ، فأدخلت عليه ـ في الانتساب والدراسة وشئون الامتحانات ـ الكثير من القيود شيئاً فشيئاً متمثلة بذلك وزارة المعارف في معاهدها ودور التعليم بها ، حتى أصبحنا في هذه الأيام نجده يحتذيها في كل شيء تقريبا : مثل عدد سنى الدراسة ونظمها ونظم الامتحانات ، وبهذا ـ في رأيي

فقد الأزهر الكثير من شخصيته وطابعه وأصالته .

أما انفعال الأمة كلها بالغير فى كثير من أمورنا العامة ، والخطيرة ، فأوضح من أن نحتاج لأن ندل عليه . ومع هذا ، فإنى أشير إشارة عابرة إلى أثر ذلك فى التعليم والدستور والقوانين ونظم القضاء . وليس ببعيد منا ما كان من فرض قانون مدنى جديد قدمه واضعه بعد أن صافه من مزق مختلفة من قوانين أمم مختلفة من أمم أوربا . متناسيا أن ما تصلح به أمة فى الغرب قد لا تصلح به أمة أخرى فى الشرق ، لاختلاف الدين والتقاليد وإن كان فى هذا قدر كبير من الاثم على الأزهر ، إذ لم ييسر كتب الشريعة الإسلامية للراغبين فى معرفتها ، والمعنيين بدراستها ، من غير الأزهريين .

على أنه من الضرورى أن تنتفع الأمم بعضها ببعض فى الفكر ونظم الحياة ، ولكن الخطر أن يكون التأثر من طرف واحد دائما .

إن الانفعال أو التأثر بالغير بإفراط يضيع استقلال من منى به فردا أو جماعة ، ويذهب باستقلال الفكر وأصالة الرأى والعمل . ذلك بأن من يتطلع دائما إلى غيره ويسأله ماذا يرى وماذا يعمل ، يجعل من نفسه مادة يصورها ذلك الآخر كما يريد ، ويجعل نفسه فى رتبة البهيمة يصرفها الحدث من الغلمان على ما يشاء ويهوى . إنه بذلك يلغى ما وهبه الله له من عقل يستطيع به ، إن أراد ، أن يجعل له حياة خاصة وفكرا مستقلا به ولكنه رضى لنفسه أن يفكر له الآخرون ، وأن يخط له هؤلاء الاخرون مجرى حياته التى تضطرب فيه . إن هؤلاء الذين يتبعون دائما الأغيار ، يجعلون من أجسامهم مقابر لنفوسهم التى أماتتها التربية السيئة والتقليد المفيت ، بدل أن تكون هياكل لنفوس إنسانية لها حريتها واستقلالها . والجناية فى هذه واضحة ، وإنها جناية على الفرد والجماعة والدين نفسه .

ذلك ، بأننا نجمع على أن الإسلام دين كل زمان ومكان ، دين صالح لكل عصر وبيئة . ومع هذا فقد منعنا اتباع الماضين ، والجمود على ما كتبوا عن الاسلام لعصور غير هذا العصر الذى نعيش فيه ، من أن نحاول عرض الإسلام كما يجب : عقيدة وتشريعا وأخلاقا واجتماعا واقتصادا وأقول : « واقتصادا » عامدا ؛ لأن الإسلام ، وهو تشريع عام شامل ، ما كان يستطيع أن يهمل هذه الناحية الخطيرة التى تعتبر بحق مشكلة أمس واليوم والغد فى العالم كله .

إن علينا أن نكتب كتبا جديدة نعرض فيها الاسلام من تلك النواحى ، ونبين فيها كيف يجب أن نعمل لتحقيق العدالة الاجتماعية ؛ فإنه لا تزول هذه الفوضى ، ولا تتقى الشيوعية إلا بالقضاء على سبيلها الوحيد وهو الظلم الاجتماعى . تلك سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

بذلك ، وبذلك وحده ، تكون قد أدينا واجبا كبيرا للأمة والإنسانية كلها ، وبذلك نكون صالحين للتعاون مع ممثلى المسيحية فى تكوين جبهة لمحاربة الالحاد والمبادىء الهدامة . أما بالعكوف على القديم باعتباره وحده الحق ، وبالتقليد فى كل شىء حتى فى التفكير ومناهج الدرس ، فاننا لن نستطيع أن نصل إلى خير ، وتكون جناة على أمتنا وأبنائنا ، وتلك جناية يثقل علينا حملها ووزرها . نعم ، إنها جناية نكراء أن نجمد على ما ورثناه من تراث ، فلا نتناوله بالتوسعة والتعديل بما يناسب حاجات هذا العصر الذى نعيش فيه . وهل فعل أئمة التشريع من المسلمين ، الواحد بعد الآخر ، غير هذا ؟ إن هؤلاء الأئمة رضوان الله عليهم لو كانوا متبعين جامدين على ما ورثوا مقلدين لمن سبقهم ، لما كان لنا الآن إلا مذهب واحد فى التشريع ، بينما صار لنا من ذلك بفضل استقلالهم واجتهادهم فى الرأى مذاهب عديدة ، مذاهب نرجوا أن تتجدد وتزيد حتى نجد فيها توسعة وتلبية لحاجات الزمن فى العالم الاسلامى كله .

وهنا أجد من الواجب أن نرفع الصوت عاليا بأن كل من تقدمنا فى الحياة ، ما عدا الأنبياء والمرسلين ، فيما أرسلوا من أجله ، يخطئون ويصيبون . لا معنى إذاً للتأثر والاتباع فى كل شىء ، ولعل بعضنا يكون أفهم للأمر وأقرب للحق وأهدى إلى الصواب من كثير من هؤلاء السابقين . ومن أجل ذلك يكون فرضا على كل منا أن يعنى باستعمال عقله وأن يطلب لنفسه الاستقلال فى الرأى الذى يتبعه الاستقلال فى الشخصية ، وإلا كان مقصرا فى طلب الكمال الذى جعل الله وسائله .

الكلام بقية

محمد يوسف موسى

ولي الدين يكن

للاديب عبد الخالق عبد الرحمن

هنالك صحائف مطوية لشعراء عاشوا في العصر الأخير لم يذكر لنا الكتاب عن سيرتهم ما يروى الغلة وقد أثرت أن أجمع بعض الأشتات فأكون مقالة عن الشاعر الأديب المرحوم ولي الدين يكن. فهو شاعر في كلا الفنين المنظوم والمنثور يصوغ كلامه المرسل كأنه شعر موزون ويسبك الشعر كأنه النثر سهولة وطلاقة وطبيعة وانقياد قواف، حتى لو حللت نظمه ما جئت بأسهل منه، فأنت بين هذا النثر الأنيق وذلك الشعر الطلي لا تدري أولي الدين أشعر في هذا أم في ذاك، لازمه لأنه لم يجر قلمه إلا بما خفق به قلبه. وهو في كلا الفنين ذو القلب المتألم مما حوله ولمن حوله. ولأنه قلب حساس شريف تخدمه مخيلة ترى ما لا يراه الغير حتى أصبح كما قال هو عن نفسه

قلبي يحس وهذه عيني ترى ما حيلتي فيما يحس وما يرى

كان ولي الدين شاعراً في قصائده العصماء يحلق في عالمه العلوي بجناحي الخيال والشعور، وينظم في سلك بيانه الابتسامات والدموع دراً ابن منها الجواهر التي تزين النحور.

كان شاعراً في (معلومه ومجهوله) وقد ضمنه مذكراته عن منفاه فظهر كأنه المغلوب الغالب والمقهور القاهر.

كان شاعراً في (صحائفه السود) وهو يئن من الظالم الذي انتابه، والحيف الذي لحقه، والجهالة التي سدت عليه منافذ الحرية، فكان في أنينه دوي التهديد، وفي شكواه رعد الوعيد.

كان شاعراً في (تجاربه) وما استفاد تجربة — ككل مجرب — إلا وقد امتلكها بشيء يخسره من الأمل حتى جاءت كما يقول وكما هي (آلام مصوره وشكاوى متجسدة)

كان شاعراً ملء روحه الشاعرية وملء قلمه الفصاحة، يسمو النفس بسلاسة ألفاظه ورقة قوافيه وعذوبة أسلوبه، ويملك القلب بلطف معانيه التي يصورها تصويراً كله سلامة في الذوق ونزاهة في الفن وجزالة في التعبير الرائع، وقوة في التركيب الفني وموسيقية الألفاظ المنتقاة فتراه يسترضي القارىء ساعة حتى ليملأ قلبه سروراً وصفاء. ويستبكيه حين يبكي ويتألم حتى ليجعله يلمس دموعه لمس اليد ويحس بناره تتأجج من خلال ألفاظه.

لقد مازجت شاعرية ولي الدين يكن نفساً عزيزة حساسة وقلباً شريفاً، فكان إذا تأثرت نفسه وخفق فؤاده قال الشعر فيرسله دون إتعاب فكر ولا اجهاد قريحة. وقد ظهرت خصائص هذه الشاعرية في امتداد نفس القول لديه امتداداً لم يدرك فيه عاطفته المندفعة ضعف ولا فتور، وفي استقصاء الموضوع استقصاء يشمل جميع نواحيه في روعة الأسلوب الذي يهز المشاعر هزاً عنيفاً ويترك في النفوس أثراً عميقاً.

هذا قليل من كثير وغيض من فيض عن ولي الدين الشاعر الكبير. أما ولي الدين الحر الشريف المخلص بين أشرف الأحرار فلا تقل منزلته عن منزلة ذاك

كان حراً في تفكيره وأقواله، كان في طليعة أحرار الشرق متعطشاً إلى الحرية والاستقلال والانعتاق من القيود التي ثقلت عليه فقد صهر أغلال التقيد فكسرها ورفع فوقها علم الاستقلال الفكري عالياً خفاقاً فكان لا يقول إلا ما يوحيه إليه يقينه ووجدانه حتى كان كالشاعر الملك الضليل أمرىء القيس لا يقول الشعر رهبة ولا رغبة فأمكنه أن يباهي فيقول.

إذم فلا أخشى عقاباً يصيبني ومدح لا أرجو بذاك ثواباً

وهكذا كان شأنه في كل ما كتب ونظم وهذا ما كان يريد أن يكون لسان حال الغير قال (لا أبالي الثناء ولا أبالي الهجاء وانما أبالي ان يصدق في أحدهما) ولطالما أضرت حريته هذه بمصلحته بين قومه بل وبين عشيرته كما يعرف ذلك معاصروه. ولو شاء ولي الدين أن يضحي ولو بالقليل من حرية رأيه واستقلاله الفكري لكان له شأن كبير في تركيا أولاً وفي مصر ثانياً؛ ولكنه آثر على كل ذلك أن يعيش حراً طليقاً فيقول:

وأعتلي كرسي مستكبرا كالملك فوق العرش إذ يعتلي

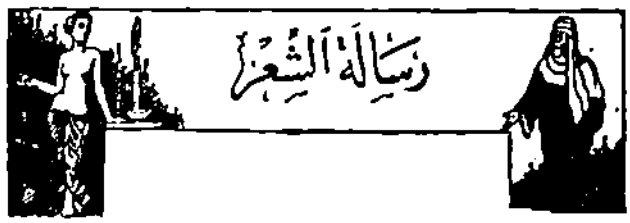

الشاعرة

للآنسة الفاضلة ن. ط. ع

نفس هذه الشاعرة فيعة الهوى تنزع إلى سماء الأدب، وتطمح إلى مجد القريض؛ ولكن عزلتها التقليد جعلتها تسير في فلكها الضيق لغير مستقر، وتطير في جوها المحصور إلى غير مدى. وفي هذه القصيدة التي كتبتها وهي تكابد سام النفس القاتل، وألم الجسم المبرح ما يعبر عن هذه الحال.

إلى أين مسراك ياشاعره ... متى تهتدي روحك الحائره
إلام انجذابك نحو السماء ... وتغضين عن نفسك الثائره
وما المجد إلا خداع الماني ... ألم تسأمي النظرة الساخره

رأيتك مذ كان فجر الشباب ... سهيمين بالمثل العاليه
وفي زورق حالم تبحرين ... ونفسك واثقة راضيه

فكان جزاؤه على ضفاف البسفور النفي سبع سنوات؛ وكان جزاؤه على ضفاف النيل أن يستكن في داره منسياً أحياناً من أقرب الناس إليه ولكنه لم يطأطىء رأساً ولم يحن ظهراً ولم يحد قيد شعرة عن مبدئه وسنته

وقلما تخلو قصيدة من رواثعه أو صفحة من كتاباته عن مثل هذا الإباء المجسم وتلك الأنفة العالية. والحقيقة أنه كان حراً في سياسته كما كان حراً في كتابته.

(بغداد) عبد الخالق عبد الرحمن

وأنت تخالين وادي الكمال ... قريباً وأثماره دانيه

وقلنا سلاحك، هل من سلاح؟ ... لديك به تقهرين العباب
طريقك أخطاء وعر طويل ... وسوف تلاقين شتى الصعاب
فقلت سلاحي صدق الوفاء ... وهذا الطموح وهذا الشباب

وفي زورق مايروق النفوس ... ويبعث فيها الرضا والسرور
مجاديفه مكنونة بالمدى ... مراسيه موكولة للضمير
يرف عليه لواء القريض ... فيدنو له كل قاص عسير

وسار الشراع بأثقاله ... وقلب يضيق بهذا العذاب
يجوب الحياة فتمضي السنون ... وتذوي الأماني ويبلى الأهاب
ومامن شعاع ينير السبيل ... ويهدي النفوس خلال الضباب

وصاح الفؤاد ضللنا الطريق ... دعيني أسير هذا الشراع
وأمضي به نحو شط النجاة ... وأعفيك من هول هذا الصراع
فأنت تسيرين ضد الرياح ... بهذا اليفاع وهذي البقاع

أأنت على موعد صادق ... تجيلين في العابرين النظر
ألم تيأسي من خداع الليالي ... ألم تسأمي مجدك المنتظر
ألم تسمعي وقع خطو الزمان ... ألم تفزعي من نداء الحفر

لقد سالب الشمس نحو المغيب ... إلى أين مسراك يا فانيه
فما زال شعرك رهن القيود ... وكلت مجاديفك الواهية
فلا نلت بالشعر ما تنشدين ... ولا عشت هانئة راضية

نشدت الخلود مع الخالدين ... ولكن أسأت اختيار السبيل
فهيهات بالشعر أن تدركي ... من الدهر غير العناء الطويل
فلو كنت في زمرة الراقصات ... لأثنوا عليك الثناء الجميل

وأطنب في مدحك المادحون ... ونجمك أمسى حليف الصعود
وقالوا إلهة شتى الفنون ... وأعجوبة في سجل الخلود
وذال فنك كل الصعاب ... وهون شقوة هذا الوجود

ن. ط. ع

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

الإصلاح الحقيقي للأزهر :

نشرت الأهرام منذ خمسين سنة ما يلي : « ارتأى فضيلة الإمام الشيخ محمد عبده ، بعد أن درس (بروغرامات) تعليم الأزهر وغيرها من (بروغرامات) الدروس ، إدخال تعديلات كثيرة على (بروغرام) الأزهر ، فقدم تقريرا بذلك ، وضمنه (البروغرام) الواجب التدريس بمقتضاه ، ومن أحكامه إدخال جميع العلوم ، من كيمياء وفلسفة وهندسة وغيرها ، ورفع هذا التقرير إلى السدة الخديوية ، فأحالته إلى لجنة العلماء المؤلفة من ثلاثين إماما من أئمة الأزهر الأفاضل ، فاجتمعت هذه اللجنة برياسة حضرة المفتي ، لأن سماحة العلامة الفضال شيخ الأزهر الرئيس الشرعي لهذه اللجنة ترك رياسة هذه الجلسة لفضيلة الشيخ محمد عبده ، ليكون أطلق يدا في تأييد مبادئه الجديدة المعارض لها شيخ الأزهر »

كان ذلك منذ خمسين سنة ، وكانت تلك أول خطوة نحو إخراج الأزهر من عزلته ليساير ثقافة العصر الحديث . أدخلت العلوم الحديثة إلى الأزهر منذ ذلك الحين ، وقد تحايل المصلحون إذ ذاك على جذب الطلبة إليها بمختلف الوسائل ، فألفوا فيها ودرسوها على الطريقة الأزهرية القديمة ، فكانوا مثلا يعرفون مصطلحات علم الحساب كالجمع والطرح ويخرجون مخرزات التعريف فالجمع هو ضم عددين أو أكثر من جنس واحد لينتج ناتج يسمى حاصل الجمع ، و « الأس » هو عدد صغير يوضع فوق عدد آخر للدلالة على حاصل ضربه في نفسه مرة أو أكثر ... وهكذا . وقد نظم بعض الطلبة مسائل الجغرافيا ليسهل عليه حفظها كما يحفظ المتون المنظومة ، ومن ذلك قول الناظم :

إفريقيا يا عالما بالحال تحد بالبحر من الشمال

وتعاقب أساتذة العلوم الحديثة في الأزهر ، حتى كان عهد المغفور له الشيخ المراغي الذي نقل الطلبة من المساجد إلى أبنية مدرسية ، وجعل برامج دراسة العلوم الحديثة مطابقة لبرامج المدارس الابتدائية والثانوية ، وأحضر لتدريسها نفس أساتذة هذه المدارس ، وأدخل كذلك على مناهج الدراسة في الكليات ما يناسبها من الدراسات العصرية وندب لتدريسها أساتذة من الجامعة وبعض المدارس العالية .

وصار الأزهر — كما نراه الآن — يدرس العلوم الحديثة بفضل ذينك المصلحين العظيمين ، وقد خطا كل منهما الخطوة « الممكنة » في زمنه . ولكن هل هذا هو الإصلاح الحقيق المنشود للأزهر ؟

قلت فيما مضى إن العلوم الحديثة في الأزهر « روافد » ثقافية ، وأقصد بذلك أنها تعد المجرى الأصيل وهو علوم الشريعة الإسلامية ، ولن يكون الأزهر حديثا ومسايراً لركب الزمن ومحققا لما يطلب من جامعة إسلامية في القرن العشرين ، إلا إذا عرض هذه العلوم بأسلوب حديث وطبق أصولها على مسائل العصر الحديث . وهذا هو ما أعنيه بالإصلاح الحقيق للأزهر ، وهو يتطلب مصلحا « ثالثا » يخطو الخطوة « الثالثة » وهي الخطوة التي ستكون في الصميم .

إن الأزهري الحديث يشعر بأنه ذو شخصية مزدوجة : من قديم ومن حديث ، فهو يشارك الناس في المجتمع العصري كثيرا من ألوان النشاط العصري ، على اختلاف حظوظ الأشخاص من ذلك ، ويسايرهم فيها ، ويجيد في بعضها . ولكنه مع كل ذلك يشعر بشخصية ثقافية قديمة لا يكاد يبديها لأنها لا تلائم المقلية التي تحيط به . ولو أنه تلقى ثقافته الإسلامية بطريقة عصرية ، وبتطبيق عصري ، لما أحس بهذا الحاجز القائم في عقله بين ثقافتين مختلفين .

وأريد أن أقول لأولئك الذين كتبوا كلمة هنا وكلمة هناك : إن الأزهر ليس مقصورا على من ينتسبون إليه ويحملون شهاداته ، بل هو للجميع باعتباره منبع المعرفة الإسلامية ، ولم أقصد فيما أوردته من رسائل الطلبة وما عقبت به إلا الصالح العام عن طريق تكوين جيل إسلامي جديد يعرض الثقافة الإسلامية عرضا جديدا ويلائم بينها وبين مقتضيات العصر .

وقد قصدت فى كتابى السابقة أن أشرك الطلبة وأفسح لهم كى يعبروا عن مشاعرهم ويبدوا أفكارهم ، واتبعت الطريقة « الاستنتاجية » فاستنبطت منهم عناصر الموضوع حتى بدا تناوله جديدا وإن كانت الأفلام تصاورته من قبل ، وقد قصدت بذلك أن أستحث الجيل القائم من علماء الأزهر على أن يخرج كنوزه للناس ، فقد قضوا أشطارا من أعمارهم فى دراسة تلك الكتب وإدراك مراميها ، وهؤلاء العلماء هم الذخيرة الحية الباقية والطابة فى هذا العصر تؤودهم المناهج المزدحمة وقد أصبحوا لا يسيغون أساليب التأليف القديم وصارت نفوسهم منصرفة عنها فلن يقبلوا عليها مثل أسلافهم ، فواجب أولئك العلماء أن يؤدوا الأمانة التى تلقوها عمن قبلهم بطريقة تناسب العقلية الجديدة عقلية من يراد منهم أن يتعلموها ، ولا ينبغى أن نيأس من قعود الأساتذة عن هذا الغرض ، فإنا وإياهم ننتظر المصلح الثالث الذى قد يكون شيخ الأزهر ، وقد يكون وجلا آخر من رجال الأزهر يفسح له الشيخ الأكبر ، وإن كان يعارضه ، ليكون أطلق يدا ...

كشكول الأسبوع

▫ جاء من باريس أن الدكتور طه حسين بك سيسافر إلى روما يوم ١٣ مايو الحالى لإلقاء محاضرة فى جامعتها عن الأدب العربى القديم .

وقال معاليه لمراسل الأهرام إنه سيعنى عناية خاصة بمسألة الطلبة الذين يرغبون الحضور إلى فرنسا ، وخاصة أنه بعد إنشاء جامعة ثالثة فى أسيوط أصبحت الحاجة تدعو إلى زيادة عدد البعثات إلى الخارج ولا سيما إلى فرنسا ، فلا بد من اتخاذ التدابير اللازمة تمهيداً لحضور هؤلاء الجامعيين من الشبان المصريين الذين سنعتمد عليهم فى تكوين هيئة التدريس بالجامعة الجديدة .

▫ يخلف معالى الدكتور حامد زكى معالى الدكتور طه حسين بك فى رياسة وفد مصر بمؤتمر اليونسكو بعد عودة الثانى .

▫ قرر معالى وزير المعارف تأليف لجنة لاختيار كتب المطالعة الإضافية والمطالعة الصيفية لمدارس الثانوية ، برياسة المستشار الفنى للوزارة وعضوية المراقبين العامين للغة العربية والأستاذ احمد حسن الزيات والأستاذ ابراهيم مصطفى بك .

▫ رأى معهد القاهرة للثقافة الشعبية أن يستمر فى الصيف على تيسير بعض وسائل التثقيف ، فاعد برنامجا للسينما الثقافية وبرنامجا لندوات أدبية يدور البحث فيها حول كتاب أو فصل من كتاب ، ويتجه رأى المعهد أيضا إلى فتح مكتبته طوال العطلة الصيفية للراغبين فى القراءة والاطلاع .

▫ أذاعت وكالة الأنباء العربية من « حيدراباد » أن العميد المساعد لجامعة اللغة العربية فى السند ، رحب باقتراح الأستاذ زاهد حسين محافظ بنك الدولة الخاص باستخدام اللغة العربية بدلا من الانجليزية فى المكاتبات الرسمية ، وقال إن العالم الاسلامى فى حاجة ماسة إلى لغة دولية ، وإن العربية هى خير اللغات وأصلحها لهذا الغرض

▫ نقرأ أحيانا فى الصحف أن فلانا سيلقى محاضرة تحت رياسة فلان ! ولست أدرى ما ينقص المحاضرة بدون هذه الرياسة ؟ والأغرب من ذلك ما قرأته أخيراً وهو أن مراقبا فى منطقة تعليمية سيلقى محاضرة تحت رعاية وزير المعارف ورياسة المراقب العام للمنطقة !!

▫ يجرى العمل الآن فى إنشاء مسرح صيفى فى حديقة الأزبكية بالقاهرة . وسيفتتح قريبا ، حيث تقدم الفرقة المصرية جزءا من برنامجها الصيفى من أول شهر رمضان القادم حتى نهاية أيام العيد .

— تنظر الآن لجنة العدل بمجلس الشيوخ اقتراحا بمشروع قانون فى حقوق النشر والتأليف .

واحدة بواحدة :

تتجه وزارة المعارف الآن إلى العمل على نشر الثقافة الفرنسية فى مصر ، وذلك بجعل اللغة الفرنسية اللغة الأجنبية الأولى فى بعض المدارس إلى جانب اعتبار الانجليزية اللغة الأجنبية الأولى فى البعض الآخر وبالإكثار من البعوث العلمية إلى فرنسا وخاصة بعد التوسع فى إنشاء الجامعات المصرية وما يقتضيه من الحاجة إلى الأساتذة ، وبمساعدة المدارس والهيئات الثقافية الفرنسية الموجودة فى مصر على تأدية رسالتها .

والتمكين للمصريين من الانتفاع بالثقافات الأجنبية المختلفة وعدم الاقتصار على بعضها هو رأى معالى وزير المعارف الدكتور طه حسين بك ، ومن الطبيعى أن يعمل على تنفيذه وتحقيقه فى النطاق الرسمى وهو على رأس وزارة المعارف ، كما دأب على العمل به فى الميدان الأدبى العام .

هذا جميل ومفيد ، ولكن هناك شيئا آخر يعرفه معاليه ولا أحسبه إلا يوليه اهتمامه . ذلك أن السلطات الفرنسية فى شمال افريقية تمنع وصول الثقافة المصرية والعربية إلى هناك

وقد طلبت بعض البلاد الغربية أخيرا من وزارة المعارف المصرية أن تنشىء فيها مدارس تسير على المناهج المصرية ، وأن تمدهم بطائفة من الكتب الأدبية والعلمية والفنية لتكون نواة لمكتبات عامة يتردد عليها أبناء تلك البلاد . ولكن السلطات الفرنسية عارضت — كدأبها — فى إجابة هذه المطالب ، وجرت اتصالات بين الوزارة وبين تلك السلطات الفرنسية فى هـذا الشأن لم تنته إلى حل .

وقد استطاع معالى الوزير الأريب أن يحل مسألة مراتب التعليم المصرى فى السودان على وجه أرضى الكرامة المصرية ، فسافر المراقب إلى السودان بعد ما وقف الانجليز فى سبيل دخوله إليه . وهذا المثل يجعلنا آملين فى أن يستقل معاليه مركز الثقافة الفرنسية بمصر فى حمل الفرنسيين على التعقل وعدم الوقوف فى وجه الثقافة المصرية المتجهة إلى شمال إفريقية ، تلك البلاد التى تجمعنا بها روابط لا انفصام لها .

مسابقة مختار فى النحت والتصوير والرسم

احتفل يوم الثلاثاء الماضى بافتتاح معرض الأعمال الفنية التى قدمت إلى مسابقة مختار فى النحت والتصوير والرسم ، وهى المسابقة السادسة عشرة التى أقيمت لتخليد ذكرى مثال مصر الأول ، وذلك فى متحف الفن الحديث بشارع قصر النيل بالقاهرة . وقد استقبلنا فى مدخل المتحف بالحديقة تماثيل مختار نفسه معبرة موحية ، كأن الفنان العظيم هو الذى يستقبلنا فى الاحتفال بذكراه ..

والمعرض يحتوى على ثلاث مسابقات ، الأولى فى النحت وموضوعها « اللاجئون العرب » والثانية فى التصوير الزيتى وموضوعها « الطفولة المشردة » والثالثة فى الرسم ، ولم يحدد لها موضوع ، ولكن رسومها تتجه أيضا نحو الطبقات المعذبة ،

وقد فاز بالجائزة الأولى فيها رسم يمثل فرقة من الشحاذين يشاركها فى طعامها الثائه كلب على طوار بجوار مسجد ، فالمعرض كله يصور البؤس والألم فهو جدير بأن يسمى معرض البؤساء

وأعمال هذا المعرض متوسطة ، وبعضها جيد ، وهى وإن كانت خالية من الروائع الفنية الممتازة التى تستوقف الشاهد وتستحوذ على إعجابه ، إلا أنها دلالات أصيلة ، لعراقة موضوعاتها فى بيئاتنا الزاخرة بهذه الصور ، فليس فيها محاكاة أو اقتباس ، وهى من هذه الناحية تدل على شخصيات أصحابها وعلى مواهبهم التى تبشر بالخير .

والذى أعجبنى فى المعرض الصورة التى فازت بالجائزة الأولى فى التصوير الزيتى ، وهى تمثل أخوين : أخ يدفن وجهه بين ذراعيه المشتبكتين وشعره الأشعث الأغبر ينطق بالبؤس والحرمان وأخت جلست إلى جانبه موزعة بين العطف على أخيها والإحساس بالألم . وأعجبتنى كذلك الصورة رقم ٤ ، وفيها طائفة من الأطفال المشردين يسوقهم شرطى وقد ربطهم بحبل كما يساق قطيع من الساعة إلى المذبح — وامسك المخبر بأعمال أحدهم فبدت سوأته فى شكل مؤثر ، وهى حركة معبرة بارعة .

أما التمثال الذى فاز بالجائزة الأولى فى مسابقة النحت فهو يمثل أسرة من المهاجرين راحلة ، وهو تمثال لا بأس به ، ولكن أعجبنى هناك تمثال (رقم ٢٤) لم يفز بجائزة ... وهو الذى يمثل أسرة من زوجين وطفلين أضناها السير والتعب ، فحطوا رحالهم إلى جذع نخلة قد بتر رأسها ، وفى ذلك إيحاء بانقطاع الخير حتى مما لجئوا إليه ...

عباس خضر

المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

فى القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الكبير ادوارد وليم لين

نقله إلى العربية الأستاذ عبد الله طاهر نور

كتاب يقع فى ٤٥٠ صفحة من القطع الكبير وهو سجل حافل لعادات المصريين وآدابهم وأحوالهم واعتقاداتهم وأساطيرهم فى القرن التاسع عشر . يمتاز بوضوح المنهج ودقة التفصيل وتوخى الحقيقة وجمال العرض وتصوير الأشياء والأشخاص بالقلم والريشة تصويرا يحفظ لها خصائصها وملامحها فى الذهن والعين على تراخى الزمن . والكتاب مترجم عن الانجليزية ترجمه أمينة دقيقة تكاد مع بلاغتها وسهولتها تكون حرفية .

يطلب الكتاب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات الشهيرة والثمن خمسون قرشا عدا أجرة البريد .

تعقيب

كتب صاحب العزة أحمد رمزي بك مقالا في العدد الماضي من الرسالة بعنوان « محاضرة عن الاسلام » وهي المحاضرة التي كتبت عنها قليلا في كتاب « حياتي »

وقد فصلها الأستاذ تفصيلا دقيقا وافيا وصحح لي اسم المدرسة الاسلامية التي ألقيت فيها محاضرتي الأولى وعتب علي أني لم أذكر ما قامت به القنصلية المصرية في القدس من مجهود مشكور .

وإني أبادر — أولا — بشكره على تنبيهي إلى خطئي، وثانيا قبول عتبه واعلاني شكره على مابذل من مجهود لانجاح هذه المحاضرة .

وإني أؤكد لحضرته أنه لم يحملني على هذا التقصير إلا النسيان وبعد العهد واعتمادي على ما بقي من الحادث في ذاكرتي . بينما اعتمد حضرته — على مايظهر — على مذكرات يومية دونها، وأخيرا أقدم لحضرته شكري ومعذرتي وسلامي .

أحمد أمين

معركة الفزويني في الأزهر:

لا أوافق صديق الأستاذ عباس خضر على تصوير مادار بيني وبين الأستاذ الشيخ محمد خفاجي بأنه معركة حول كتاب الايضاح يفضها أحد أمرين : أن تلغى دراسته من كلية اللغة ، فيرفع اللحاف بين المتنازعين عليه ، أو يرجع به إلى أحد أحفاد صاحبه بقزوين لأنه أحق به منهما . فالمعركة ليست بهذا التصوير ، وإنما هي معركة بين عمل متواضع في الإصلاح قمت به في شرح الإيضاح ، وعمل لا يؤمن بحاجة الأزهر إلى إصلاح في علوم البلاغة أو غيرها ، ويقول صاحبه إنه جد فخور بحشوه بمماحكات الحواشي اللفظية ، ويصفها بأنها بحوث علمية خصبة في رأي كل دارس للبلاغة وباحث فيها ، وصديقي الأستاذ عباس خضر يرى كما أرى أن هذه الحواشي وما حكاتها هي التي أفسدت البلاغة .

وإذا كان في الإيضاح بعض المماحكات فإنه مع هذا خير ما ألف في البلاغة بعد كتابي عبد القاهر — دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة — لأنه يجري غالبا في طريقهما . وإن كان متأثرا بطريق السكاكي في تبويب علوم البلاغة وتقسيمها ، وقد عنيت في شرحي له بمجاراته في طريق عبد القاهر ، واختيار ماهو من صميم البلاغة في تلك الحواشي ، واهمال مماحكاتها اللفظية ، مع التنبيه على ما في الايضاح من هذه المماحكات . وقد قصدت من هذا الشرح أن أمهد الطريق لعمل يكون أتم في الإصلاح ، ولا يرجع بنا القهقرى إلى مماحكات الحواشي ، وهذا كله قليل من كثير ذكرته في كتابي — دراسة كتاب في البلاغة — وسأترك لصديق الأستاذ عباس نسخة منه في إدارة الرسالة الغراء ، وله شكري على قبول هذا الإهداء .

عبد المتعال الصعيدي

وفاة الأستاذ أمانويل مونييه E'Monier

أصيب الأدب الفرنسي ولا تبالغ إن قلنا الأدب العالمي بوفاة أحد كبار الكتاب المصريين بفرنسا وواضع مذهب الذاتية le personnalisme وهو الأستاذ أمانويل مونييه

ولد هذا الفكر المشرق الوضاح بمدينة جرونوبل سنة ١٩٠٥ وما عتم أن عين مدرسا للفلسفة وظهرت على حداثة سنه شخصيته الحرة القومية الجذابة .

وقد تمكنت هذه الشخصية القوية من جمع نخبة من الكتاب حولها فأوزعت مجلة « الفكر » الذائعة الصيت

وذهب مونييه يذيع في مجلته أفكاره وآراءه في مشاكل العصر الحاضر واضعا أسس مذهبه العامة الذي أسماه « بمذهب الذاتية » وان لم يكن راضيا عن هذا اللفظ مضطرا لاتخاذه تعبيراً أقرب من كل عبارة أخرى للدلالة على جوهر مذهبه الفلسفي العام .

وهذا المذهب الفلسفي الجديد الذي أثر وما زال يؤثر تأثيراً بعيداً في اتجاه الشباب المثقف في فرنسا وخارج فرنسا يعتمد في جوهره على اعتبار الانسان في ذاته وشخصيته أولا وقبل كل اعتبار آخر؛ فالانسان في نظر مونييه محور كل شيء في هذه الحياة؛ وهذا الانسان في نظره ذات personne أو شخصية personnalité قبل أن

يكون فردا individu وقبل أن يكون جزءا من أجزاء المجتمع

فمذهب مونييه غير مذهب الفردية individuaiesme ومذهبه أيضا غير مذهب الشيوعية المطلقة التي تعتبر — في نظره — الانسان جزءا من المجتمع لا شخصية لها مميزاتها تعيش في المجتمع .

وعلى هذه القاعدة يخالف مونييه ويقاوم الرأسمالية نتيجة الفردية المبالغة ويخالف أيضا مذهب ماركس . وعلى هذه القاعدة قضى مونييه جل حياته في تفكير عميق واجتهاد متصل محاولا أن يضع حسب تعبيره أسس مذهب خاص به يوفق بين وجود الانسان وجودا شخصيا وحياة نفس هذا الانسان في مجتمع لا بد له من الامتثال لسننه وقوانينه .

وقد وفق مونييه إلى حد بعيد إذا ما اعتبرنا أنه أولا نجح في وضع الأصول الكبرى لمذهبه ، وثانيا في نشر مذهبه وتكوين أنصار له من الكتاب في فرنسا وخارج فرنسا قادرين على المسير بمذهبه في طريق الاكتمال بفضل مجلة (الفكر) .

رسالة الى ولدي

ها أنت ذا تبلغ العام الأول يا بني : عاما كجل الأعوام التي تمر من حياة الناس مليئة بالاصطخاب والتنافس والتنازع ، طافحة بالشهوات والنزعات والرغبات

عاما من أعوام هـــذا العصر الحاضر المشبع بأوضار المادة والمفعم بسموم النزاع : ومنذ اللحظة الأولى التي تفتحت فيها عيناك على النور ذهل البيت الآمن الوادع : وتغيرت في الحال منه وجهة الطريق ، فانقلب النظام وتغير الجو وتبدلت الغايات .

كان يشق طريقه يابني في عتمة الأزل لا يهتدي إلى غايته المتوخاة : ويدرج في دروب الحياة لا يرى الساحل الآمن ، وينتظم في صفوف القافلة لا يحس نهاية الغاية ، حتى أتيته يا بني وولدت فيه وانتظمت في أسرته فإذا به غناء وشعر وطفولة ، وإذا به رسالة وجهاد وأبوة

لقد كشفت للبيت السبيل يا بني فهديته إلى غايته في لحظة ، وأريت للبيت الطريق فوجهته في سهوله ، وبعثت فيه الحياة والحماس والفتوة فاندفع كالسهم المراش يمضي ويمضي نفاذا لا يلوي على شيء .

لقد رطبت طفولتك يا ولداه جو البيت فلان بعد قسوة ، وتلطف بعد تحجر ، واستدى بعد يبس : وهذه الطفولة السحرية العجيبة غيرت وجه التاريخ من دون عناء ، وبدلت لون الكون من غير تعب ، واستبدلت بقلوب الآباء والأمهات قلوبا أخرى تنبض بالحب بعد ما كانت تنبض بالدم ، وتجيش بالعطف بعدما كانت تجيش بالرضى والغضب ، وتقبل على الوجود بالتضحية والفداء والايثار بعدما كانت تقبل عليه ملأى بالحرص مغمورة بالأثرة والتنفعة وحب الذات ؟!

لقد بدلت يابني لون هذا العام الذي مر من حياتك وحياتي فهو عام كغيره عشو بالأيام كما تحشى سنابل القمح بحباتها ، ولكن لون أيامه تغير وشكل لياليه تبدل فلم يعد هذا الصخب الذي مر ذكره يصل إلى مسامع البيت ، ولم تعد هذه المادية تكبله بسلاسلها القاسية وتضرب حول فنائه ألف نطاق

فقد طهرته طفولتك يا ولداه وسكبت عليه من إكسيرها بلسما يعطي منه السقيم فيبرأ ويداوى به العليل فيشفى

لقد أوضحت لي يا بني كثيرا من معاني الحياة ، وكشفت لي جوانب من أسرارها فاستوضحتها بعد ابهام ، وتبينتها بعد لبس ، فلم تعد الوطنية معاني معقدة الفهم ضعيفة المدلول كما كانت في فجر الحياة ، ولم تعد الحياة ملهاة قليلة الشأن بسيطة القيمة كما كانت في مطالع الشباب ، ولم يعد المستقبل غموضا وضربا من الخيال والوهم كما كان في ابان الطفولة .

لقد علمتني يا بني كثيرا وألقيت على دروسا ذات قيمة كما انك هذبت نفسي وقلبي وصقلتهما صقلا جميلا مصقولا ! ! ترتسم عليهما الصور بسهولة . ولولاك يا بني لبقي العقل ضالا جاهلا قدسية الاسرار العليا ؛ ولبقي القلب حجرا قاسيا ما أكثر ما يحتاج إلى تهذيب .

لقد أصبح قلبي وهو مهدك خزانا يعج بأسمى العواطف ، وبركانا يجيش بأقدس النزعات . لقد طهرته من الرجس وأزلت عن جنباته أدران الصدأ . لقد علمته أنشودة الأبوة الرقيقة الحواشي البديعة النغمات فغدا صياحه شعرا وأمسى مساؤه موسيقى .

ولو أدركت يابني كم في نظراتك الطاهرة وحركاتك البارعة من سمو إلهام لقلبي ، وارتياح لخاطري ونشوة لنفسي لنطقت قبل أوان ، ولعقلت قبل رشد ولأحسست قبل احساس

لو أدركت يا بني وعلمت ما يخامر الآباء من حب وعطف وحنان حيال أطفالهم الصغار لتمنيت أول ما تتمنى ولطلبت أول ما تطلب وعياً ومعرفة ورشداً لتذوق طعم السعادة التي يسعى الى تذوقها الضالون تيهم في طلابها المدلهون

إن طفولتك يا بني شعر ، بل هي أسمى من الشعر إنها عروس من عرائس الخيال للشاعرين يتدفقون في الدنو منها محاولين

الوصف، ويحترقون فى الاقتراب منها معالجين القريض، فإذا بهم يتخبطون ويحترقون كما تحترق الفراشات المتوائبة حول النور !

لست أدرى يا بنى لم تتزاحم الصور والمعانى أمام خاطرى حينما أنظر إليك ، ولست أدرى لم هذا النهم كله فى حبك ، ذلك أن فيضك ياولدى وسع آفاق قلبى كثيرا وبسط جوانب نفسى كثيرا وزودنى بأعماق بعيدة الغور لا يدرك لها مدى ولا تحدها حدود ! !

لو عرفت يا بنى كيف يدفع التعب ، وكيف تهون المشقات، وكيف يسهل الصعب ، وكيف تقرب الغاية لعلمت أنك دواء من الله لم تحتوه صيدلية ولا ركبه العلم ، يعين به الله الهمة المجهدة ويرشد به الله البصيرة الضالة ! ويحل به العزيمة محل الخور والأمل بعد اليأس والرجاء بعد القنوط .

ثم ها أنذا يابنى تدلف إلى عامك الثانى تسرع الخطى وعندما تضحى على أعتابه يا بنى سيكون لى معك حديث وأى حديث.

بنت جبيل — لبنان

حسن محمد عبد الله شرارة

٣٤ ، ٤١

صديقى مويز

تأليف الأستاذ حسن المخزومى

الأستاذ على محمد سرطاوى

هذا كتاب وضعه الأستاذ العالم حسن المخزومى بالفرنسية ووزع فى باريس حينما كانت هيئة الأمم المتحدة تنظر القضية الفلسطينية فى مرحلها الأخيرة . وقد نقله إلى العربية وطبع فى بيروت فى مطامع الكشاف عام ١٩٤٨ .

يقول الأستاذ عبد الله مشنوق فى الكلمة التى قدم بها الكتاب لقراء العربية : « هذه فصول قيمة موجزة كتبها صديق حسن المخزومى عن الصهيونية منذ نشأتها حتى اليوم ، على لسان صديقه اليهودى مويز ، بأسلوب قصصى ممتع ، يمتاز بوضوحه وسهولته كما يمتاز برصانته العلمية ونقده اللاذع الساخر. ضمنه خلاصة وافية عن الصهيونية وأحلامها ومزاعمها ، مستندا إلى الوثائق والمراجع التاريخية ومفندا هذه المزاعم — على لسان اليهودى داعما — بانصاف واتزان يبرز فيهما القارىء حسن المخزومى العالم الرياضى والمهندس المدقق لايسرف ولا يغلو ، ولا تنقلب فيه العاطفة على العقل » .

ويقول فى مكان آخر : « لقد صدر متأخراً عن موعده ربع قرن على الأقل ، ولو أنه صدر فى موعده الصحيح لتغير وجه التاريخ — ولو أن كل عربى عرف مرامى الصهيونية وأغراضها منذ ربع قرن لما أخذ العرب على حين غرة — ولما ظهروا بذلك المظهر الارتجالى فى ميادين السياسة والقتال — »

والكتاب لا يزيد فى صفحاته على الستين فى حساب الحجم ، ولكنه فى حساب الحقائق خلاصة مركزة لعشرات المجلدات التى تحدثت عن قصة تاريخ الإنسان فى عشرات القرون . والكتاب فى مجموعه لمحات عابرة فى رأى صائب ، واتزان عميق ، وبيان مشرق ، وفى إشراق الفكرة المركزة بتراءى الجهد المضنى الذى يبذله الغواص فى أعماق اليم وفى تبسيط المعقد من مشاكل التاريخ تبدو الطاقة المبذولة فى تحويل أطنان من الأتربة والحجارة إلى ذرات صغيرة من الذهب الوهاج .

وفى الكتاب لفتات ذهنية بارعة ، ومفاتيح لغرف نفسية لشعوب انطوت على أنفسها — على حد تعبير الأستاذ الفنان العداوى — ، ونتائج يكاد ينفرد بالوصول إليها ، ومشاهد من صور يعيد التاريخ نفسه فيها .

وقلائل جدا ، هم الذين تصدوا لكتابة التاريخ وحلق بهم الفكر النير على أجنحة الفهم العميق والأدراك المتزن إلى الآفاق التى توحد فيها حقائق الأرواح الخالدة ، وقلائل جداً هم الذين لم تفح من آثارهم روائح القبور، ولم تبد وراء كلما تهم جثث الموتى وعظام الغابرين .

وثقافة الأستاذ المخزومى العلمية، واطلاعه العميق على مصادر التاريخ فى أكثر من أربع لغات أجنبية يتقنها ، إلى جانب ما يتحلى به من ذوق مترف ، وحس سليم فى الأدب والفن، كل ذلك يطل عليك من وراء كلمات الكتاب النابضة بالحياة ، فيخيل إليك أنك لا تقرأ كتابا ، وانما تسمع حديثا مبسطا عن المشاكل المعقدة فى العلم والفن ، فى سخرية لاذعة واتزان عميق .

تبتدىء المسرحية الصهيونية التى ذهب ضحية فصلها الأول

مليون ونصف من العرب الآمنين ، التى سيذهب اليهود مجتمعين فى فلسطين ضحية الفصل الثانى منها حينما ترخى يد الزمن أطراف الستار ، فى مكانين متباعدين فى الشرق والغرب .

وقف على طرف المسرح الغربى فى بريطانيا لويد جورج وزملاؤه ، يعاونهم بلفور وشركاؤه على الايقاع باليهود عن طريق وعد بلفور الفاشم ؛ ووقف على طرف المسرح الشرقى مكماهون ولورنس يحاولان الايقاع بالشريف حسين عن طريق استقلال العرب ...

وفى الوقت الذى كان فيه مكماهون يقطع الوعود المسئولة للشريف حسين ، كان جورج بيكو الفرنسى ، ومارك سايكس الانجليزى قد أتما تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بينهما ، ولم يتركا للعرب غير الصحراء — الصحراء فقط — لأنهم خرجوا منها وإليها يرجعون ...

ويقول المؤرخ الانجليزى ه . ر . تامبرلى : « كانت ثقة العرب فى بريطانيا العظمى من القوة بحيث لم يفلح افشاء بعض البنود من المعاهدات السرية فى افساد العلاقات الحسنة بين الطرفين ... »

آمن ابراهيم وهو فى العراق بفكرة التوحيد ، وتبنى اليهود من بعده هذه الفكرة وتعالوا بها عن سائر الشعوب التى تحيط بهم وانطووا على أنفسهم فكرهتهم الشعوب واكتوى ابراهيم نفسه بنار هذه الفكرة التى آمن بها فكانت وبالا عليه واضطر أن يفر من الصحراء إلى فلسطين . كان محبوبا فأعلن كثير من الأقوام أنه جدهم كالأدوميين ، والأموريين ، والاسماعيليين . أما اليهود فيبدأون من يعقوب أو إسرائيل الذى اضطرته المجاعة إلى الهجرة إلى مصر ، وهناك يبدأ الاضطهاد الأول فى التاريخ لليهود . وهنا نتساءل : أكان الخطأ عند اليهود أم كان عند المصريين ؟

اضطر اليهود إلى الهرب من مصر ، وقد انضم إليهم من كان من غير اليهود ، ولعل موسى من هؤلاء . وقد أضاف إلى عقيدة التوحيد وصايا أخلاقية عشرا لم يتبعها اليهود ، بل شاكسوا الأنبياء ، وأشركوا بالتوحيد ؛ فقدموا القرابين لأرباب آسيا ، وعبدوا عشتاروت وبعل ومولوخ والعجل الذهبى ، ووضعوا أولادهم فى أفران مولوخ ، وسلموا نساءهم للبغاء المقدس على الروابى والتلال .

لقد رأى موسى أن بقاءهم فى تيه صحراء سينا ، قد يقوم المعوج من أخلاقهم ، ويثير رجولة الشجاعة فى نفوسهم ، ولكن ذلك البقاء فى التيه لم يفلح إلا فى إماتتهم ... وتسللوا إلى فلسطين أفرادا وجماعات تسللا بطيئا ، ولم يكن صحيحا أنهم أخذوها بالقتال لأنها كانت معمورة بجبابرة من الكنعانيين والأشوريين والجابوسيين ، كانوا أصلب منهم مراسا وأقوى عودا ، وأمتن أخلاقا ...

والمرة الأولى فى التاريخ أصبحت لهم مدينة ، زمن داود وسليمان ، ولكن الذى يلفت النظر أنهم لم يستطيعوا الاتيان بعمل فنى ، فاستعانوا بجيرانهم على بناء الهيكل . وإذا استثنينا المزامير خرج اليهود من حساب التراث الفنى خاسرين ...

واليهود كالنار ، تأكل بعضها ان لم تجد شيئا تأكله ، وحينما لم يجدوا بينهم شعوبا يدبرون لها الشر ، ويبيتون لها المكر ، دبروا ذلك لأنفسهم ، فانقسموا إلى شماليين فى السامرة ، وجنوبيين فى أورشليم ، وقضى سرجون ملك نينوى على الشماليين عام ٧٢٢ ق.م ، ونبوخذ نصر على الجنوبيين عام ٥٨٦ ق. م ، وتفاهم إلى بابل ، وبذلك أزاحت يد التاريخ عن مسرح الدنيا تمثيلية لم يصلح الممثلون لأداء أدوارها ، ولم يرتح النظارة لمشاهدتها . ونتساءل مرة ثانية : أكان الخطأ عند اليهود أم عند البابليين والأشوريين ؟

يبتدىء تاريخ اليهود الحقيقى بسبى بابل ، وحينما فتحها كورش الكبير وقضى على امجادها عام ٥٣٩ أصدر أوامره باعادة اليهود إلى فلسطين (وها هو التاريخ يعيد نفسه بنزوح يهود العراق إلى فلسطين عن طريق إيران) . لقد رفض عدد كبير منهم العودة رغم مساعدة كورش العظيم لهم ، ورغم تبرع الذين لا يريدون العودة بنفقات الراجعين ... والذى يلفت النظر فيها ان فلسطين لم تتأثر بنفيهم إلى بابل . كانت الحياة فيها هادئة ومزدهرة بعدهم .

ورجوع اليهود من السبى البابلى تحققت نبوءة دانيال . وهذه النبوءة لا تعنى رجوع اليهود مرة أخرى ، لأنه لم يبعث

إلههم نبي بعد أن شتتهم تيطوس فى السنة السبعين من الميلاد .

عاد اليهود إلى فلسطين من العراق فابتدأت المتاعب لهم ولجيرانهم وللرومانيين. لقد عاشوا عيشة الضنك والفساد والشغب والفوضى ، ورأت روما وهى سيدة الدنيا وجبارة التاريخ ان تضع حدا لهذا العبث والاستهتار، فدفع إليهم تيطوس بجيوشه وشتتهم فى العام السبعين من ميلاد المسيح . وهنا نتساءل مرة ثالثة : لقد قضت روما على قرطاجنة لأنها كانت تهدد حياتها ، أما اليهود — اليهود المستضعفون — فلماذا قضت عليهم روما ؟ وكان الخطأ عند اليهود أم عند الرومان ؟

ظهر المسيح يبشر بكلمة الله فضيع اليهود الفرصة الذهبية التى أتاحها لهم القديس بولس فى الطمأنينة ونشر عقيدة ابراهيم وشريعة موسى ، وتعاليم يسوع السامية بين الشعوب بدلا من وقفها عليهم . ضيع اليهود هذه الفرصة بدافع من تعصبهم الضيق المغرور ، وكبريائهم العنصرى .

وهكذا تم الفراق والتباعد بين اليهودية والمسيحية ، ونشأ الكره بين الطائفتين لأن الله لم يخلق العالم ليجعل منه عبيدا لأبناء يعقوب . وبنبذهم النصرانية عاشوا منبوذين مكروهين فى العالم ، واضطروا النصارى إلى مقابلتهم بالاضطهاد والعذاب بدلا من اظهار العرفان بالجميل ...

فى هذه الفترة من الاضطهاد اضطر اليهود إلى العيش مجتمعين فنفروا من الزراعة وحرموا من الوظائف العامة والجيش ، وانصرفوا بكليتهم إلى التجارة والربا الذى يحرمه دينهم عليهم ، فجمعوا المال وكدسوه غير ملتفتين إلى مايحيق بهم من عذاب واضطهاد .

وأقبلت الثورة الفرنسية تلثم الأخضر واليابس ، وتدمر معالم الحياة ، وأطلت البورجوازية ، وحل المال محل سائر القيم الروحية والاجتماعية والأخلاقية ، فوجد اليهودى نفسه فجأة فوق قمة المجتمع الأنسانى بما لديه من مال ، وانفتح أمامه مستقبل لم يحلم به أبدا .

وفى هذه المرة كان بامكان اليهود النجاة بانفسهم والعيش هادئين ، ولكن الغرور سول لهم أن يفرضوا أنفسهم على الدنيا وأن يستعبدوا العالم بأسره .

وظهر رد الفعل شديدا فى أسبانيا ، وذاق اليهود من الكنيسة ألوانا من العذاب فهاموا على وجوههم ، ووجدوا فى العالم العربى الصدر الرحب الذى لا يضيق ، والتسامح الدينى الذى يفرض على المسلم احترام أهل الكتاب ، والقلب الرحيم الذى يضع البلسم على الجرح الدامى ، وحذت البلاد النصرانية حذو اسبانيا فوقع اليهود أمام اضطهاد منظم رهيب . كان اليهود على الدوام يلقون اللوم على مضطهديهم ، ولم يدر بخاطرهم أن يوجهوا بعضا من التفريع إلى أنفسهم .

وهنا تبتدىء مرحلة جديدة أمام اليهود فى التاريخ ، تلك هى مرحلة التردد بين الاندماج والتكتل .

ان الاضطهاد المنظم ، والمال الوافر ، حملهم يفكرون فى موطن أو دولة وخرجوا من التفكير الطويل قرأوا أنفسهم أمام حلين لمشكلتهم :

الحل الأول : أن يندمجوا بسكان البلدان التى يعيشون فيها ويختفى مع الزمان العلامة الفارقة التى تميزهم عن الناس .

الحل الثانى: أن يبقوا منعزلين انتظارا للوقت الذى يفتشون فيه عن وطن لا ينازعهم فى ملكيته أحد . وفى الحيرة بين هذين الحلين بقى اليهودى هائما فى الظلام يتخبط فى تيار الزمن مترددا .

وإذا عدنا إلى الماضى البعيد ، منذ ألفى سنة ، نرى فيلسوف الاسكندرية اليهودى فيلون ينتصر لفكرة اندماج اليهود بالشعوب التى يعيشون بينها حين يقول : « لم يعد اليهود بسبب عددهم قادرين على أن يعيشوا فى بلد واحد . ثم انهم يعيشون الآن فى أغنى البلدان من أوربا وآسيا فينبغى أن ينظر اليهود إلى أورشليم اليوم وغدا على أنها مقر أصله الخلقى وانها مكان مقدس ، على حين أن البلد الذى يسكنه هو وطنه الذى يعيش فيه كما عاش أبوه وجده من قبله » . وقد تحققت مخاوف فيلون وأدت إلى خراب اليهود فى معظم البلدان التى عاشوا فيها .

وحينما صدر وعد بلفور الذى يمنح اليهود فى الظاهر وطنا روحيا ، وفى الباطن دولة يهودية ، احتج عقلاء اليهود عليه ، ولكن احتجاجهم ذهب صرخة فى واد ، واعتبر المحايدون ذلك الوعد افدح ضربة وجهت إلى اليهود فى التاريخ . والذى يرجع

إلى المذكرات التي كتبها هربرت صموئيل أول مندوب سام على فلسطين يجد صورة واضحة المعالم فيها من أعماق قلب يهودي شديد الاتزان ، بعيد النظر .

وأقبل القرن الرابع الميلادي وأصبحت المسيحية دين الدولة الرومانية ، وأصر اليهودي المتعصب على القطيعة وبقي على معتقده القديم ، ولم يحاول اليهود العودة إلى فلسطين بعد عام ١٣٥م حتى لم يذهب إليها حاج واحد ولم يأتوا إلا بعد اضطهاد الأسبان لهم ، وجاءوا لاجئين لا حجاجا .

وعلى أثر اضطهاد اليهود وطردهم من انجلترا عام ١٢٩٠ وفرنسا عام ١٣٠٦ ، واسبانيا عام ١٤٩٢ ، فتح ملوك ألمانيا أبواب بلادهم لهم ، ولكن اليهودي المتيد بقي نفس ذلك اليهودي المطرود بكل ما فيه من تعصب لجنسه ، يعيش منفصلا عن الأمة البولونية ويمتص دماءها وأموالها ، فنشأ البغض هناك وأطال الاضطهاد برأسه . وتتساءل دائما لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا يضطهد اليهودي ويبغض ، أخطأ عند الناس أم لخطأ في طبيعته ؟

وتحسنت أحوال اليهود بعد القرن الثامن عشر بسبب الهجرة إلى أمريكا ، ولكن المهاجرين اليهود حملوا إلى الدنيا الجديدة معهم بذور الاضطهاد فنبتت حولهم هناك .

ونشأت فكرة الدولة اليهودية من الخوف من تكاثر عدد اليهود المتصهرين في الشعوب ، ثم لأيواء اليهود المضطهدين . تلك هي التربة التي نمت فيها بذور الحركة الصهيونية .

يحدثنا التاريخ أن نابليون بونابرت في العام السابع من الثورة الفرنسية قد دعا يهود آسيا وافريقيا للانضواء تحت لوائه لاسترجاع أورشليم .

وتجنس عام ١٨٤٠ اليهودي الايطالي موسيز حايم مونتفيوري بالجنسية الانجليزية ومنح لقب سير وهو صاحب فكرة اقناع الانجليز بحماية اليهود في الدولة العثمانية ، ولكن انجلترا في ذلك الوقت لم تجد مصلحتها في جانبه فلم تساعده ، وحاول ايقاف هجرة اليهود إلى أمريكا وتحويلها إلى فلسطين ، ولكنه لم يفلح .

وتأسست عام ١٨٨٠ في الاستانة جمعية صهيونية روسية سمت نفسها (بيلو) قالت في بياناتها : « يا اسرائيل ماذا ضعت منذ ألفي سنة ، لقد نمت نوما عميقا وحلمت برؤيا الاندماج الفارغة . إن مستقبلك في الغرب لا أمل فيه ولا رجاء — هناك مستقبلك في الشرق حيث يلمع نجمك في السماء .. »

وكان الدكتور بانسكو الروسي اليهودي من دعاة الاندماج ، ولكنه غير رأيه بعد اغتيال اسكندر الثالث وعودة الاضطهاد ، ورجع ينادي بالدولة اليهودية ، ولكنه حذر قومه من الاتجاه شطر الأرض المقدسة . ومن أقواله : « لقد قاسينا من الويلات على هذه الأرض المقدســـة ما فيه الكفاية . ولنا فيها من الذكريات الأليمة ما يصرفنا عن التفكير في سكناها والتعرض لأخطار الطرد منها كما حدث في الماضي . »

وقام في نفس الوقت البارون هيرش الألماني يدعو إلى الدولة اليهودية ولكن في بلاد الارجنتين تحت شعار العودة إلى الزراعة ، لكن هذه الفكرة ماتت بمعارضة المتطرفين ومات مشروع البارون .

ثم ظهر على المسرح موبيز هس الألماني . كان هذا شديد الاعجاب بالثورة الفرنسية فدعا إلى اتحاد فرنسي يهودي للسيطرة على الشرق الأدنى وطريق الهند ومحاربة الانجليز ، لكن قضية دريفوس الشهيرة جعلته يغير رأيه .

وفي هذه البلبلة ظهر هرتسل ، وهو يهودي نمساوي . كان صحفيا ومؤلفا مسرحيا . أصدر عام ١٨٩١ كراسا عنوانه الدولة اليهودية) أحدث ضجة كبرى .

جرب هرتسل ان يوحد المذهبين المسيحي واليهودي عن طريق تنصير اليهود ووضع حد لسلكهم الشاذ في المجتمع البشري ولكن أصدقاءه صرفوه عن هذا الرأي لاستحالة قبول اليهودية .

وازاء هذا الفشل خطرت له فكرة تأليف شركة يهودية للاستعمار في أرض يستطيع أن يمتلكها اليهود وأن تنظم إليها الهجرة تنظيما كثيفا . ومن المحقق ان أرض الميعاد لم تخطر لهرتسل على بال . لكن المتطرفين قلبوا فكرته وحملوه على تقديم مشروع على أساس الهجرة إلى فلسطين . فحاول الحصول على فلسطين من السلطان عبد الحميد ، لكنه باء بالفشل وكان جواب السلطان لوسيطه : (قل للدكتور أن يعدل عن الاصرار على هذا الأمر فأنا لا أستطيع التنازل عن شبر واحد من أرض السلطنة لأن

هذه الأرض هي ملك لشعبي لا ملكا لي " وقد أهرق هذا الشعب دمه للاستيلاء عليها فليحتفظ اليهود بعلاتهم ، ولعلهم يتمكنون من الفوز بفلسطين بدون مقابل متى قطعت أوصال السلطنة . أما أن أقبل طوعا بان نتنزع منها أحد أجزائها فلا ...

« انني لا أستطيع أن أرضى بتشريحها وهي لا تزال على قيد الحياة ... »

لكن هرتسل استعمل الأساليب الملتوية رغم هذا الجواب الصريح وخرج على مبادىء الهجرة الكثيفة ... وكان في الوقت الذي يدعو فيه إلى اتحاد يهودي اسلامي للتفوق على المسيحيين، كان يفاوض امبراطور المانيا ويحاول اقناعه بالفوائد التي تجنيها المانيا من ايجاد فلسطين ، إذ لا بد أن تمر بطابع من الثقافة الألمانية ، ومع ذلك فلم يكتب له التوفيق ، ففشل مع غليوم وعبد الحميد ، لكنه لم ييأس وأدار وجهه إلى انجلترا ، وكانت تعاني من كثرة تدفق المهاجرين اليهود عليها ، فرحبت بالفكرة لأن فيها الحيلولة بينها وبين السيل الجارف من المهاجرين - ولكن انجلترا لم ترد أغضاب السلطان ، فاقترح هرتسل جزيرة قبرص أو العريش لكن جوزيف شمبرلين وزير المستعمرات اقترح عليه « اليوغندا » لتكون موطنا يهوديا ... ولما تألفت لجنة لدرس هذا المشروع كان هرتسل قد مات فقضى على الفكرة نهائيا ورفضها مؤتمر ١٩٠٥ رفضا باتا .

وهنا ظهرت أقلية يهودية أسمت نفسها منظمة الأراضي وأسلوبها شراء الأرض واقامة المستعمرات والمدارس والهجرة بأسلوب خفي تقوم الدولة اليهودية ويطرد العرب من فلسطين

وهكذا لعب اليهود بالنار التي احترقت وستحترق في لهيبها أرواح بريئة من بني الانسان ففازوا خداعا بالجولة الأولى ، واستقروا على فوهة بركان من حقد أربعين مليونا من أمة أحسنت لليهود في أوقات المحن التي مروا بها ؛ نقلي في أعماق ذلك البركان حمم رهيبة من الثأر وويل للظالم من المظلوم ...

وهذه جولة خاطفة في رياض هذا الكتاب النفيس ، طفنا بالقارىء فيها حول وروده ورياحينه ، ومررنا بتلك اللفتات الذهنية البارعة . يقص المؤلف كل ذلك على لسان اليهودي موبيز صديقه الخيالي .

وهنا لك إشارات عابرة في الكتاب إلى تلك الحركات الفكرية الهدامة التي كان ولا يزال اليهود يقومون بها في عصور التاريخ ، لهدم القيم الاخلاقية والمثل الانسانية التي ترفع أعين البشر إلى النور .

وتعاليم التلمود توجب على اليهودي كره كل من كان من غير بني جنسه ... وأن يكون قاسيا حقودا .

وأما قصة (برونو كولات شيوخ صهيون العلماء) فقد جلاها مترجمة القراء الرسالة الأستاذ محمد خليفه التونسي في اعداد الرسالة الغراء اعتبارا من العدد « ٨٥ » ، ومنها عرف القراء اليهود عارين بعد أن نزعت عنهم تلك الوجوه المستعارة .

ونرى أن ننوه في نهاية هذا الحديث إلى المقال الرائع الذي كتبه الأستاذ عدنان الكيالي ونشر في عدد الرسالة (٨٦٠) ففيه تفصيل لبعض المشاكل التي أشرنا اليها اشارة ونرى أن نقتبس القسم الأخير من المقال المذكور .

قال الأستاذ الكيالي : « واني أعتقد أن العالم لن يصيب الراحة والهدوء ولن يسوده السلم والاستقرار مادام اليهود عنصرا فعالا فيه ، وما دام بين الناس من لا يزالون ينخدعون بهم وينظرون اليهم نظرتهم لسائر أبناء البشر الآخرين . ولا مفر للبشر من اتباع أحد وجهين لاثالث لهما لوضع حد لمفاسد اليهود وشرورهم، فاما أن ينبذوهم نبذا تاما ويقصوهم عن مراكز العمران في العالم ويحصروهم في بقاع نائية حصرا لا مجال لهم معه إلى بث سمومهم في الناس .. واما أن يصدقو النية في تغيير عقلية اليهود ومعتقداتهم بأخذ الأجيال الناشئة منهم وتربيتها تربية بعيدة كل البعد عن معتقدات آبائهم وأجدادهم بحيث يهدون إلى دين جديد كالاسلام أو المسيحية أو البوذية أو الكونفوشية أو أية عقيدة أخرى يهذبون ويوجهون توجيها جديدا يتفق مع الخلق الكريم والمثل الانسانية العليا لتصبح نفوسهم مثل نفوس سائر البشر »

وبعد فلك ياصديقي المخزومي شكر المربية على كتابك النفيس ونرجو أن لا تحول أعمالك الهندسية الواسعة بينك وبين التفرغ لمشكلة أخرى من مشاكل الأمة العربية فتدرسها درسا عميقا فيه الرأي الصائب والتسديد والتوجيه ...

علي محمد سرطاوي

بغداد - دار المعلمين الريفية

حب ! . .

تلاث صحائف من مذكرات رجل رياضى

مختصرة عن Guy de Maupassant

كانت تلك الليلة شديدة البرد ، حالكة الظلام ، فجلسنا للعشاء فى غرفة فسيحة ، بدت لى كمعرض من معارض الحيوانات ، فقد كان ابن عمى حريصاً على تعليق كل طير جميل يصطاده على جدران هذه الغرفة بالذات ، أو يدليه بالحبال من سقفها ! ... حتى ابن عمى بدا لى تلك الليلة ، فى هيئة غريبة هو الآخر ! ... كان يرتدى معطفاً « جلديا » سميكا بدا لى به كواحد من تلك الحيوانات التى تعيش فى المناطق المتجمدة الشمالية !

كان ابن عمى — كارل دى روضي — قد دعانى إلى الصيد معه . فلما جلسنا حول المائدة راح يحدثنى عن كل الترتيبات والاستعدادات التى دبرها أو اتخذها لهذه الرحلة ... فعلينا أن نبدأ الرحلة فى ساعة مبكرة فى فجر اليوم التالى ... وعلى مسيرة ساعة من هنا أقام ابن عمى كوخاً من قطع الجليد الكبيرة ، وأعده لنحتمى به من شدة الزمهرير !

فرك ابن عمى راحتيه ، وقال — آه ... لم أر طول حياتى مثل هذا الجو البارد ! ثم استأذنته ، ودلفت إلى فراشى مبكراً ، وما كدت أستقر بين أحضان الفراش الدافئة ، حتى نمت نوماً عميقاً هادئاً ولم أستيقظ إلا على يد ابن عمى ووجهه الأحمر ، والفجر لما يطلع بعد .

وسرنا أنا وابن عمى وكلابه ، تتبعنا رجلا استأجره ابن عمى لحمل الصيد . وما كدنا نخرج من البيت حتى شعرت بالرياح تلطم وجهي بشدة ، وأحسست بالبرد يسرى فى أوصالى . وكانت الطيور الصغيرة تتهاوى إلى الأرض ، وهى جثث هامدة جامدة !

كنا نسير ، أنا وابن عمى جنباً إلى جنب وقد انحنى ظهرانا ، ولاذت بالجيوب أيدينا ... وكنا قد تأبطنا بنادقنا وسرنا فى صمت وسكون . حتى وقع أقدامنا لم يكن يسمع قط ، فقد عمدنا إلى لف أقدامنا بالصوف خشية الانزلاق على الجليد . وكنت أتلهى بالنظر إلى مياه النهر المتجمدة ، وإلى البخار الكثيف المتصاعد من أنوف الكلاب .

وبلغنا غابة كثيفة اختارها ابن عمى للصيد ، وأوغلنا بين أشجارها المتلاصقة ، وأحراشها المتكاثفة ، فكان إذا ما مس جسد أحدنا غصناً من الأغصان انحطم محدثاً صوتاً مدوياً يبعث الرعب إلى قلبي ... يا للسكون ، انني أحس الآن فى أعماق نفسى احساسات غريبة لم يسبق لى أن أحسست بمثلها من قبل . إن هذه الإحساسات التى تملأ نفسى لن تبرح ذاكرتى طوال أيام حياتى .

ولاح لعينى ذلك الكوخ الجليدى الذى أقامه ابن عمى لنحتمى به من شدة البرد . وكان وصولنا إليه مبكراً ، فدخلناه لنسترجع أنفاسنا ونرتاح قليلا ، وانتهزت هذه الفرصة فتدثرت بغطاء سميك من الصوف ، واستلقيت على الأرض محاولا التماس الدفء ، ولكن جدران الكوخ الشفافة ما كانت قادرة على صد هجمات الرياح الباردة ، فبرد جسدى ، وانتابتنى نوبة من السعال أثارت اهتمام ابن عمى ، فقال مداعباً ليس من الضرورى أن نصطاد كثيراً اليوم ... انني أخشى عليك من الزكام ! ... دعنا نشعل ناراً لعلك تدفأ !

وارتفع لهيب النار ، ومس جدران الكوخ الشفافة كالبلور الصافى ، فأخذت قطرات الماء تنهمر علينا كالمطر . وكان كارل خارج الكوخ حين ناداني فى لهفة — تعال ... تعال وانظر ! فعدوت إلى الخارج مسرعاً ، وسرعان ماوقفت مدهوشاً ذاهلا ... يا للروعة ! ...

كان كوخنا الجليدى ذو الجدران الشفافة ، والنار تتأجج فيه ، يبدو كالجوهرة التى وقع عليها الضوء الساطع . فراحت تشع وتتلألأ !

وبينما كنا مسحورين بهذا المنظر الأخاذ ، وكل

شيء ساكن من حولنا ، إذا بنا نسمع دوياً هائلا ينبعث سريعاً خاطفاً من فوق رؤوسنا فيتبدد ذلك السكون الثقيل الذى كان يخيم على الحياة من حولنا !

ورفعنا أعيننا إلى السماء ، فاستطعنا أن نرى سرباً كبيراً من الطيور يحلق غير بعيد عن رؤوسنا . ولمع فى ظلام الفجر سيف من النور .. لقد أطلق كارل بندقيته ، وهرولت كلابنا نحو الغابة ثم تناوبنا إطلاق النار كلما لاح لنا سرب من أسراب الطيور المهاجرة وكانت كلابنا تلهث من شدة القنص .. إلا أنها كانت مسرورة لممارستها هذه الرياضة المسلية . وكانت تحضر لنا الطيور المضرجة بدمها الحار ، تلك الجريحة التى كانت ترمقنا دائما بنظرات كلها أسى ويأس وعتاب !

وأشرقت الشمس ، وبدأت نرتفع فى الأفق بتثاقل ، وكنا نهم بالعودة حين لاح لنا فى الجو الصافى ، طائران يطيران على مهل وقد أشرأبت منهما الأعناق ، وانفردت الاجنحة . . وكان قد مر قنا من فوقنا ، حين أطلقت النار من بندقيتى ، فسقط أحدهما على مقربة منى ، وكان جثة هامدة قد مزقها الرصاص !

كان صدر الطير فضياً لا معا ، وحين رفعته بيدى اتفحصه فى اعجاب ، سمعت صوتا يتردد من فوق رأسى فى نغمات قصيرة ذات وتيرة واحدة استطعت أن أحس بالحزن ظاهرا فيها بكل وضوح .. وقد بقي هذا الطير المحزون يحوم حولنا ويرمق زميله المضرج فى دمه فى ألم قاتل وهم مرير .

كان كارل راكعا على احدى ركبتيه ، مسددا فوهة بندقيته نحو الطير المحلق فوق رؤوسنا . قال كارل ـ لقد قتلت الأنثى... وبقى الذكر يحوم حولنا ولا أظنه سيتركنا .

والحقيقة ان الطائر لم يذهب بعيدا عنا ، ولم ينقطع نواحه الذى أحزننى كثيرا واشعرنى بالندم على ما فعلت !

وابتعد عنا قليلا فخيل إلى أنه قد ركن إلى الفرار بعد أن أدركه اليأس من أنثاه ، ولكنه سرعان ما عاد إلينا وقد تجدد عزمه ، واستأنف البحث عن إلفه والنواح على انثاه ، كأن هذا الفراق قد عز عليه ، ولم يحتمله !

قال كارل ـ اتركها على الأرض ، فهو حين يراها سيقترب منها وقعلا ، ما كدت اتركها حتى اقترب منها غير مبال بالخطر المحدق به .. فقد أعماه حبه لانثاه عن رؤية البندقية المفتوحة الفم وأطلق كارل بندقيته ، فهوى الطير كالحجر !

ووضعت الاثنين فى كيس واحد ... كانا باردين كالثلج وقد خمدت منهما الأنفاس ... وشعرت بالأسى يغمر قلبى .. فلم أطق رؤيتهما .

وعدت فى المساء إلى باريس !

البصرة : العراق — يوسف يعقوب عمار
ص.ب. رقم ١٥

مجلس مديرية الشرقية

يقبل عطاءات بديوان المجلس لغاية الساعة ١٢ من ظهر يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٥٠ عن توريد :

١ ـ الأدوات الدراسية والكتابية والكراسات

٢ ـ خامات أشغال الابرة والأطفال والأقمشة والملابس

٣ ـ أدوات الأشغال اليدوية ـ وفلاحة البساتين

٤ ـ خامات وعدد أقسام مؤسسة البنين (نجارة ـ نقش ـ تريكو ـ مروجية ـ أحذية ـ خيزران ـ طباعة ـ سجاد ـ نسيج ـ موسيقى نحاسية ووترية)

٥ ـ الأثاث الجاهز والخشب وأدوات التدبير المنزلى

وثمن قائمة أصناف كل نوع ٥٠ مليما والشروط ١٥٠ مليما وأجرة البريد ٥٠ مليما وتطلب الشروط مع كل قائمة أو أكثر على عرضحال تمغة ولا تقبل عطاءات من أى قائمة أو أكثر بدون الشروط موقعا عليها ٤٨٥٩